المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير

إعداد

د / أحمد زايد مبروك أحمد

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

كلية التربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير

أحمد زايد مبروك أحمد.
أستاذ الحديث وعلومه المساعد كلية التربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر.
الايميل: drahmadmabrouk@azhar.edu.eg

مستخلص البحث:

هدفت الدراسة إلى إبراز الوسائل والأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في بناء المسلم معرفيًا ووجدانيًا طبقًا لمتغيرات البيئة والزمان والمكان والحال والأشخاص وذلك وفق منهج رباني متكامل يتسم بالوسطية والتوازن ويحقق الحفاظ على الكليات الخمس ويتوافق مع الفطرة السليمة ويتكيف مع الواقع المعاصر.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتمثل في تتبع واستقراء الأحاديث النبوية القولية والفعلية من خلال تعامل النبي ﷺ مع أصحابه ومع المخالفين في الفكر والثقافة، ثم تدبر هذه الأحاديث لاستنباط ما حوته من حقائق ودلائل وقيم تربوية تسهم في البناء والتكوين.

وتضمنت الدراسة عدة مباحث ومطالب وانتهت بالنتائج التي من أهمها أن بناء المعنى أهم من بناء المبنى وأن كثيرًا من الدراسات والأبحاث المعاصرة حول بناء الإنسان والتي تُنسب لمفكرين غربيين أصولها وجذورها في السنة النبوية المطهرة.

الكلمات المفتاحية: المنهج، النبوي، بناء، المسلم، لعالم، متغير.

The Prophetic Methodology in Building the Muslim Individual for a Changing World

Ahmed Zayed Mabrouk Ahmed
Assistant Professor of Hadith and Its Sciences, Faculty of Education for Boys, Cairo, Al-Azhar University.
Email: drahmadmabrouk@azhar.edu.eg

Abstract

This study aimed to highlight the methods and approaches used by the Prophet Muhammad (peace be upon him) in shaping the Muslim individual intellectually and emotionally, in accordance with the changing circumstances of environment, time, place, conditions, and people. This was achieved through a comprehensive divine methodology characterized by moderation and balance, preserving the five fundamental necessities, aligning with natural human disposition (fitrah), and adapting to contemporary realities.

The researcher employed the descriptive-analytical method, which involved tracing and analyzing the verbal and practical prophetic traditions (Hadith) by examining the Prophet's interactions with his companions and individuals of differing ideologies and cultures. These traditions were then carefully studied to derive the truths, evidences, and educational values they contain, contributing to human development and formation.

The study encompassed several topics and sections, concluding with key findings, the most significant of which is that constructing meaning is more essential than constructing form. Furthermore, many contemporary studies and research on human development attributed to Western thinkers have their roots in the authentic Prophetic Sunnah.

Keywords: Prophetic methodology, construction, Muslim, changing world.

مقدمة:

الْحَمْدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى الآل والصحب أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم برحمتك ياأرحم الراحمين.

أما بعد

فإن الإسلام دين كامل متكامل، يتناول جميع جوانب الإنسان حياةً وبناءً وتربية وسلوكًا، وقد جاء الرسول ﷺ برسالة خالدة تناسب جميع العصور والأزمان، وفي ظل التطورات والتغيرات المتسارعة التي يشهدها عالمنا المعاصر، أصبح من الضروري أن نستمد منهج النبي ﷺ في بناء الإنسان المسلم القادر على التكيف مع هذه التحديات.

إن بناء الإنسان والأخذ بيده إلى درجات الكمال والنقاء، والارتقاء به إلى منازل السمو والرفعة، وانتشاله من مستنقعات الفساد والضياع مما اهتمت به الشريعة الإسلامية الغراء، وحضت عليه السنة النبوية المطهرة الشريفة، وهو أمر يشغل بال المربين ويقلق الناصحين العاملين، وقد يستعصي في كثير من الأحيان على الدعاة المخلصين. ولما جاء الإسلام وظهر فجره رفرفت معالم العدل والمساواة بين الجميع، وصار المسلمون سواسية لا فرق بينهم ولا تفاضل إلا بميزان التقوى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١).

وقد بين النبي-ﷺ-هذا الأمر وجلاَّه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: سُئل رسول الله ﷺ : أي الناس أكرم؟ قال: " أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُم " الحديث (٢).

إن صناعه بناء الانسان المسلم في ظل عالم مليء بالأمواج والفتن والثقافات المتعددة والأفكار اللامتناهية من أهم ما يشغل المعلمين والمربين والدعاة المخلصين، وذلك لأن بناء الإنسان المسلم يتولد عنه صلاح المجتمع ونهضته، فصناعه بناء الإنسان المسلم أساس التنمية المستدامة، وبه يتقدم المجتمع اقتصاديًا وثقافيًا ووجدانيًا، فصناعته صناعة الحياة للدنيا بأسرها، كيف لا، وهو صانع التغيير، والقائم بالبناء والتطوير في شتى مجالات الحياة، ولذلك كانت رسالة جميع الأنبياء والمرسلين والمصلحين هي بناء الإنسان، ولا شك أن بناء الإنسان المسلم في عصرنا الحاضر يحتاج إلى التوازن، فالبناء الصحيح للإنسان المسلم لن يكون إلا بتربيته تربية شاملة متوازنة جامعة بين الأصالة والمعاصرة. فكان عنوان هذا البحث " المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره إلى الأمور الآتية:

١- إبراز دور السنة النبوية في بناء الإنسان ومعالجتها لطبيعة وأحوال وظروف وبيئات العالم المختلفة من أهم قضايا المجتمع المسلم التي تولد مسلمًا متوازنًا يستطيع التعامل مع الثقافات المختلفة ذات الفكر المتعدد.

٢- انتشار ظاهرة التطرف الفكري في عصرنا الحاضر المتمثل في التكفير والتبديع والتفسيق للآخر.

---

(١) سورة الحجرات {الآية: ١٣}.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن سورة يوسف، باب قوله لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، (٧٦/٦) حديث رقم (٤٦٨٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب من فضائل يوسف عليه السلام، (١٠٣/٧) حديث رقم (٢٣٧٨).

٣- المساهمة في صد الحملات الموجهة للإسلام بوصفه دين التطرف والرجعية والجمود وعدم الانفتاح على الآخر.

٤- الخطر الذي يصطدم مع قيم السنة النبوية وأخلاق رسولنا الكريم-ﷺ- والصحب الكرام من ارتداء الملابس المقطعة الممزقة من بناطيل وغيرها تحت شعار المودة والتقدم، وما نراه في قصات الشعر وطريقة الحوار مع الآخر من بعض شبابنا مما هو خلاف المعروف من هدي النبي-ﷺ-.

٥- الداء الجسيم الذي يهدد أمن المجتمعات والدول من عدم تفهم طبيعة العيش المشترك والسلام العالمي مع الإنسان المسلم وأخيه في الإنسانية.

٦- بيان الأسس المنهجية التي يقام عليها بناء الإنسان من خلال السنة النبوية، ومعالم السيرة العطرة.

٧- تميز المنهج النبوي في قبول الآخر من خلال حياته في مكة مع المشركين ثم انتقاله للمدينة وتعامله مع اليهود والمنافقين بها.

٨- اهتمام المنهج النبوي بتربية الإنسان في جميع النواحي والمجالات، ولا ضير في ذلك فهو منهج رباني، صاحبه لا ينطق عن الهوي فلا تراه ينتصر لرأيه أو هواه.

هدف البحث:

إظهار عناية السنة النبوية ببناء الإنسان المسلم في ظل عالم متغير في الفكر والثقافة.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في عدة نقاط من أهمها ما يلي:

١- اظهار عظمة الإسلام في بناء الإنسان.

٢- بيان الوسائل المستخدمة في البناء والتكوين من منظور الإسلام.

٣- وضوح المنهج الفريد الذي تميزت به السنة في بناء الإنسان في ظل عالم متعدد الثقافات. ٤- مراعاة الزمان والمكان والبيئة في التعامل مع الآخر.

أسئلة البحث:

تمثلت أسئلة البحث في الآتي:

س١ ما المراد ببناء الإنسان في ظل عالم متغير؟

س٢ هل اهتم القران الكريم ببناء الإنسان في ظل عالم متغير؟

س ٣ ما المنهج الفريد الذي تميزت به السنة النبوية في التعامل مع الآخر؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

والمنهج الاستقرائي يتمثل في: انتقاء ما صح من الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع وتخريجها تخريجًا علميًا أكاديميًا.

والمنهج التحليلي يتمثل في: تدبر الأحاديث النبوية واستنباط ما فيها من حقائق وقيم وأحكام وعبر وعظات وفوائد علمية وعملية، مع الاستعانة بأقوال شراح الأحاديث، وتوثيق النصوص، وبيان الغريب، والتعريف بالأعلام والرواة والأماكن والبلدان حسب ما تدعو إليه حاجة البحث.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة، وتشتمل على:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢- هدف البحث.

٣- مشكلة البحث.

٤- أسئلة البحث.

٥- منهج البحث.

المبحث الأول: المنهج النبوي وأهميته في بناء الإنسان، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ما المراد بالمنهج النبوي؟

المطلب الثاني: سمات المنهج النبوي.

المطلب الثالث: أهمية المنهج النبوي في حياتنا.

المطلب الرابع: خطوات تطبيق المنهج النبوي.

المطلب الخامس: الوسائل التي تساعد المسلم على التمسك بالمنهج النبوي في البناء.

المطلب السادس: أمثلة حيّة على كيفية تطبيق المنهج النبوي في بناء الإنسان.

المطلب السابع: مقومات بناء الانسان.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: البناء الأخلاقي للإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: البناء الاجتماعي للإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: البناء الروحي للإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: البناء الفكري والعقلي للإنسان في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البناء العقلي والفكري للإنسان في السنة النبوية.

المطلب الثاني: البناء الجسدي للإنسان في السنة النبوية.

المطلب الثالث: البناء الروحي للإنسان في السنة النبوية.

المبحث الرابع: المنهج الفريد الذي تميزت به السنة النبوية في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بناء الإنسان كإنسان" البناء الاجتماعي".

المطلب الثاني: بناء الجانب الأخلاقي للإنسان.

المطلب الثالث: بناء الجانب السياسي للإنسان.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في بناء المسلم مع المخالف له في الفكر والثقافة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مبادئ التعايش السلمي والعيش المشترك مع الآخر.

المطلب الثاني: قواعد وأسس العالمية الإسلامية.

المطلب الثالث: الرسول-ﷺ- وتعايشه مع الآخر.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

هذا إجمال، وفيما يلي التفصيل:

المبحث الأول: المنهج النبوي وأهميته في بناء الإنسان، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ما المراد بالمنهج النبوي؟

يقصد بالمنهج النبوي ما يأتي:

١- الطريقة التي رسمها الوحي الرباني للنبي محمد ﷺ في إرشاد الناس وتوجيههم نحو الله تعالى.

٢- الأساليب والوسائل التي استخدمها النبي ﷺ في بناء المسلم معرفيًا ووجدانيًا طبقا لمتغيرات البيئة والزمان والمكان والحال والأشخاص.

٢- مجموعة من الأسس والقواعد والمبادئ التي يجب على المسلمين اتباعها في حياتهم اليومية وفق هدي الرسول-ﷺ-. ويتضمن المنهج النبوي العناصر الأساسية مثل: التوحيد، والعدل، والرحمة، والإخلاص، والصدق وغيرها، ويعتبر قدوة حسنة للمسلمين في جميع جوانب الحياة.

وأما المنهج النبوي في بناء الإنسان لعالم متغير فيمكن تعريفه بأنه: الطرائق التي استخدمها النبي -ﷺ- في بناء الإنسان، والتي تؤهله للتكيف مع الآخر وفق منهج متكامل يتسم بالوسطية والتوازن، ويحقق الحفاظ على الكليات الخمس من حفظ الدين والعرض والعقل والنفس والمال، ويتوافق مع الفطرة السليمة والواقع المعاصر.

وبناءً على ما سبق فإن المنهج النبوي مصدرًا هامًا لفهم الإسلام الصحيح وتطبيقه على النحو الذي يرضي الله تعالى.

المطلب الثاني: سمات المنهج النبوي.

عندما نتحدث عن المنهج النبوي نشير إلى مصطلح قرآني رباني. فهذا المنهج يتميز بعدة سمات نجملها فيما يلي:

١- مرجعيته الربانية الإلهية: يستند المنهج النبوي إلى الوحي من الله، وهو ما يجعله شاملاً ومتكاملاً. وأما المناهج الأرضية واضعوها كان كل غرضهم أنها تصلح للعصر الذين يعيشون فيه فقط بخلاف المنهج النبوي الرباني فهو صالح لجميع الأحوال والأزمان والأماكن.

٢- تحقيق مصالح العباد: يهدف المنهج النبوي إلى تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة.

٣- صلاحيته لكل زمان ومكان: يتناسب المنهج النبوي مع جميع الظروف والمواقف.

٤- شاملاً للتوجيه الإنساني والتعليم بكل أنواعه: فهو يهدف إلى تطوير الإنسان على جميع الأصعدة: العقلية والجسدية والروحية والعاطفية. ويعمل على نقل هذه القيم والمبادئ إلى الأجيال القادمة.

المطلب الثالث: أهمية المنهج النبوي في حياتنا.

المنهج النبوي يحمل أهمية كبيرة في حياتنا، وذلك لعدة أسباب نلخصها في الآتي:

١- التوجيه الروحي والأخلاقي: يقدم المنهج النبوي قيمًا ومبادئًا توجيهية للإنسان في حياته اليومية. فهو يشجع على الصدق، العفة، العدل، والرحمة.

٢- التوازن بين الدنيا والآخرة: يعلمنا المنهج النبوي كيف نحقق التوازن بين حقوق الله وحقوق الإنسان. فهو يشجع على العبادة والعمل الصالح والتعاون مع الآخرين حتى يسعد المسلم في دنياه وأخراه.

٣- التطور الشخصي والاجتماعي: يساعد المنهج النبوي في تطوير شخصية المسلم وتحسين علاقاته مع الآخرين.

٤- الصحة النفسية والجسدية: يوجه المنهج النبوي على العناية بالجسد والنفس. فهو يشجع على النظام في الأكل والنوم وممارسة الرياضة.

وبناءً على ما سبق فإن المنهج النبوي يساهم في بناء مجتمع متوازن ومترابط يعيش في سلام وتعاون.

المطلب الرابع: خطوات تطبيق المنهج النبوي.

١- قراءة القرآن الكريم وتدبره والعمل بما فيه: اقرأ وتدبر آيات القرآن، وحاول تطبيق مبادئها في حياتك اليومية.

٢- دراسة سنة النبي -ﷺ- وسيرته العطرة: اقرأ عن حياة النبي محمد ﷺ، واستفد من تجاربه مع المشركين في مكة ومع اليهود والمنافقين بالمدينة، وخذ خبرة من قراراته-ﷺ-.

٣- التواصل مع العلماء والمشايخ: استفد من العلماء والمشايخ لفهم المنهج النبوي وتطبيقه.

٤- التأمل والتفكير: فكر في كيفية تطبيق مبادئ المنهج النبوي في مواقفك اليومية.

وتذكر أن المنهج النبوي يعتمد على العمل العملي والتطبيق، فكان كثيرًا ما يستخدم النبي-ﷺ- التربية بالقدوة العملية في حياته كالهجرة وحفر الخندق وبناء المسجد النبوي والثبات في الموقف يوم حنين وغير ذلك.

المطلب الخامس: الوسائل التي تساعد المسلم على التمسك بالمنهج النبوي في البناء:

هناك بعض التوجيهات والنصائح المحددة التي يمكن أن نستفيد منها في تطبيق المنهج النبوي في حياتنا اليومية، منها:

١- الدعاء والتضرع لله تعالى بالثبات على المنهج.

٢- تعميق فهم العقيدة والشريعة:

- الاهتمام بتعلم المزيد عن الدين وأصوله وأحكامه.
- الاطلاع على المصادر الموثوقة والبحث العلمي في الشؤون الدينية.

٣- تنمية العلاقة الروحية مع الله:

- الخشوع والتفكر في عظمة الله وآياته.
- الدعاء والتضرع إلى الله والشعور بقربه.

٤- اختيار الأصحاب والبيئة الداعمة:

- الانضمام إلى مجموعات دينية أو محافل علمية.
- تجنب الأماكن والأشخاص المؤثرة سلبًا على الالتزام الديني.
- الاستعانة بأفراد الأسرة أو الأصدقاء المؤمنين.
- المشاركة في مجالس الذكر والصلاة الجماعية.

٥- الحرص على المرونة والتوازن:

- عدم المبالغة أو الإفراط في الممارسات الدينية.
- المحافظة على التوازن بين الحياة الدينية والحياة الدنيوية.

٦- التخطيط لأوقات الضعف والابتلاءات:

- توقع الصعوبات والتحديات التي قد تواجه الالتزام.
- وضع خطط بديلة للتعامل مع هذه المواقف.

٧- تخصيص وقت للتعلم والدراسة الدينية:
- قراءة كتب ومصادر موثوقة في العقيدة والشريعة.
- متابعة دروس وحلقات علمية عبر الإنترنت أو في المساجد.
٨- وضع خطة وجدول زمني:
- رسم جدول أسبوعي أو شهري للممارسات الدينية.
- تحديد أوقات محددة للصلاة والأذكار وغيرها.
- المحافظة على الاستمرارية والمداومة وعدم الانقطاع، وفي حال الانقطاع عوّد نفسك على التوبة.
- محاسبة النفس بعد صلاة العشاء، واعطاء درجات على الممارسة الناجحة وكذا التي لم توفق فيها.
٩- الاستعانة بالتذكير والتحفيز المستمر:
- وضع إشارات تذكيرية في البيت أو المكان، أو منبه على الهاتف لكل ممارسة دينية.
- متابعة المواد التوعوية والدينية المحفزة.

وبناءً على ما سبق فإن تطبيق هذه الطرق بشكل منظم متكامل وبجهد مستمر سيساعد كثيرًا في تحفيز الالتزام بالتمسك بالمنهج النبوي.

المطلب السادس: أمثلة حيّة على كيفية تطبيق المنهج النبوي في بناء الإنسان:

المثال الأول: في الصباح عندما تستيقظ: قل "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور([1])، وهذا يعكس الشكر والتوجه نحو الله في بداية يومك.

ثم قبل أن تتناول وجبة الإفطار قل: "بِسْمِ اللهِ"([2])، وهذا يعكس الاعتماد على الله في كل تصرف.

ثم في أثناء عملك أو دراستك، حافظ على الأخلاق الحسنة والصدق في التعامل مع الآخرين. قال النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"([3])، فحاول أن تكون مثالًا حسنًا للآخرين.

في اللحظات الصعبة، قل: "حسبي الله ونعم الوكيل"([4])، وهذا يعكس الثقة في الله والاعتماد عليه في حل المشكلات.

---

[1] - أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام(٨/ ٦٩)ح٦٣١٢ فقال: حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا قَامَ قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

٢ - أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين(٧/ ٦٨)ح٥٣٧٦ فقال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، قَالَ الوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما(٣/ ١٥٩٩)ح(٢٠٢٢).

٣ - سبق تخريجه في مبحث البناء الأخلاقي للإنسان في القرآن الكريم.

٤ - كلمة تقال عند الشدائد، فقد قالها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- حين أُلقي في النار.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} [آل عمران: ١٧٣] الآيَةَ(٦/ ٣٩)ح٤٥٦٤ فقال: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما-، قَالَ: " كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ".

في المساء قبل أن تنام قل: "باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه...إلخ الدعاء([1])" فأنت بذلك تستعن بالله على النوم والاستراحة.

المثال الثاني: في حديثك اليومي وتعاملك مع الناس طبق الآتي:

أ) الصدق والأمانة: كن صادقًا في كل ما تقوله وتفعله. فالنبي محمد ﷺ كان معروفًا بأمانته وصدقه حتى قبل أن يبعث نبيًا.

ب) الرحمة والتعاطف: كن رحيمًا مع الآخرين وتعامل بلطف. فالنبي ﷺ كان يعامل الناس برحمة ويظهر لهم التعاطف.

ج) التسامح والعفو: عندما يخطئ شخص ما، كن مستعدًا للتسامح والعفو. فالنبي ﷺ كان يعفو عن أعدائه ويدعو لهم بالهداية.

د) التعلم والتطوير الشخصي: كان النبي-ﷺ- يحث على التعلم والبحث عن العلم، فحاول دائمًا تطوير نفسك وزيادة معرفتك.

هذه الأمور تعكس المنهج النبوي في حياتنا اليومية، ويمكن أن تساهم في بناء مجتمع يعيش في سلام وتعاون مع نفسه والآخرين.

المطلب السابع: مقومات بناء الانسان.

إن الإنسان هو محور البناء ومرتكز الوجود الحضاري، وأن بناء الإنسان يتحقق عبر اكتمال الرؤية الواضحة التي تقوم علي التوحيد الخالص الذي يرتقي بالإنسان إلي مرتبة التحقق بالعبودية، فيستحضر في كل معاملاته مع نفسه ومع الكون حقيقة عبوديته لله تعالي ، ومن خلال ذلك يرقى إلى القيم الإسلامية الثابتة.

فبناء الإنسان يقوم على عدة مقومات من أهمها ما يلي:

١- الفكر: يجب أن يقوم فكر الإنسان على جُملة من المعارف والحقائق والمفاهيم السليمة، وامتلاك القيم الروحية والجوهرية والأخلاقية المناسبة، التي تُشكل فكرًا حقيقيًا للمرء، وتحدد له طريقته في التعامل مع الأشياء ومع الآخرين.

٢- العقيدة: تتمثّل في العقيدة الدينية التي يعتنقها الشخص، والتي تعتبر الأساس المتين للسلوكيات والتصرفات المختلفة، وتحدد طبيعّة العلاقات الاجتماعية.

٣- الثقافة: تتمثل في أفكار وعادات مجتمعه وبيئته ومدرسته وناديه مع ما يصحب ذلك من الوعي والمعرفة والإحاطة بالأمور المحيطة به، وغالبًا ما يرتبط هذا الجانب بالعقيدة الدينية أولاً، ويتمثّل ذلك في التسامح، والمحبة، والمودة، بالإضافة إلى نبذ كافة المشاعر السلبية مثل الكره والحقد والرغبة في الانتقام والشك والغيرة.

٤- الإرادة: وهي قوة الرغبة في تحقيق الذات والإنجازات المختلفة في الأوقات المحددة لها، والعيش لهدف واضح وسامٍ، وبصورة بعيدة كل البعد عن العشوائية والفوضى.

---

١ - أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها (٨/ ٧٠)ح٦٣٢٠ فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ ".

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكروالدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤/ ٢٠٨٤)ح(٢٧١٤).

٥- مقياس السلوك: يكون هناك مقياس واضح للتصرفات المقبولة وغير المقبولة، ويعود ذلك إلى تصرفات الشخص بالإضافة إلى طريقته في التعامل مع الآخرين، وردود أفعاله اتجاه المواقف المختلفة.

٦- الإيجابية والبعد عن السلبية: الإيجابية تكون بالنظرة المتفائلة للحياة، ومن خلال تجنب الأفكار السلبية المفعمة بالسوداوية.

وفي الختام لا يمكننا تجاهل جانب التربية السليمة للأفراد، والتي تبدأ معهم منذ الصغر وتؤثر فيهم وفي سلوكهم بشكل مباشر، لذلك يجب على الأهل الانتباه جيدًا إلى هذا الجانب عملاً بالمبدأ النبوي" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(١).

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير، وفيه خمسة مطالب:

القرآن الكريم سلك مسلكًا فريدًا في الحديث عن بناء الإنسان؛ وذلك من خلال تركيزه على محاور متعددة، متى اختل واحد منها اختل بناء الإنسان، من خلال البناء العقدي، والبناءُ الروحي، والبناء العلمي والمعرفي، والبناء الأخلاقي، والبناء البدني والجسدي.

إن القرآن الكريم له منهج مهم في بناء الإنسان، وإعداده إعدادًا متكاملاً ومتناسقًا في جميع الجوانب والمجالات، بدءًا من تصحيح المفاهيم والتصورات والمعتقدات، ومرورًا بالجوانب الأخرى الروحية والمعرفية والخلقية، ووصُولاً إلى البدنية، حيث إن هذه المجالاتُ مترابطةٌ، ويُكَمِّلُ بعضُهَا بعضًا.

إن غاية القرآن الكريم من بناء الإنسان على هذه الصفة، وتلك الكيفية المتكاملة الجوانب هي تأهيله، ليكون صالحًا في نفسه، مصلحًا لغيره، قادرًا على أداء الغاية التي من أجْلها خلق، المتمثلة في ممارسة استخلاف العمرانِ، وفق مراد الله عزَّ وجلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠

لقد أكد القرآن الكريم أن الإنسان لو أحسن الاستخلاف في الأرض فسيكتب الله له العزة والتمكين والسعادة في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

١ - متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٢/ ٥)ح٨٩٣ ، وفي كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده(٣/ ١٢٠)ح٢٤٠٩ ، وفي كتاب العتق، بَاب كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي(٣/ ١٥٠)ح٢٥٥٤

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر(٣/ ١٤٥٩)ح(١٨٢٩) من حديث ابن عمر – ﷺ-

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور: ٥٥

لقد حاولت النظريات البشرية أن تضع بناء للإنسان، لكنها للأسف غطّت جانبا، وأهملتْ جوانبَ؛ لأنها نظريات ناقصة، متناقضة أحيانًا، انطلقت من غايات شخصية، أو أهداف خاصة للداعين إليها؛ ومن ثم نجحت في تغطية جانب، وفشلت في جوانب أخرى، وهذا ما يفرق بين الحقيقة القرآنية والنظرية البشرية في النظرة إلى بناء الإنسان.

المطلب الأول: الإنسان في القرآن الكريم:

لقد وردت لفظة الإنسان في القرآن الكريم في أكثر من خمسة وستين آية في مختلف سوره، بمختلف الصفات والخصائص من التكوين والنشأة والروح والفضائل والرذائل، كما ذكرت لفظة (أناسي) و (أنُاسُ) ومشتقاتها في سبع آيات، وقد أحصينا هذه الأرقام من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمترجمه للعربية الشيخ/ محمد فؤاد عبدالباقي ص٩٤/٩٣ مادة إنسان وأناس.

كما ذُكرت سورةُ خاصة في الكتاب العزيز باسم "سورة الإنسان" والتي تبتدئ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان: ١ - ٢

ثم تشرع السورة الكريمة لتبين لنا نماذج من بني الإنسان منهم الشاكر ومنهم الكفور، ومنهم الأبرار ومنهم الكفار، فجعل للطائفة الأولى كأسًا كان مزاجها كافورًا، كما جعل للطائفة الثانية سلاسل وأغلالاً وسعيرًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ الإنسان: ٣ - ٥

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وجعله خليفة له في الأرض ليعمرها ويستثمر خيراتها ويستخرج كنوزها ويبني الحضارة الإنسانية عليها، وهذا يتطلب شكر النعمة من المنعم وهو الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: البناء الأخلاقي للإنسان في القرآن الكريم:

يؤكد القرآن الكريم على البناء الأخلاقي من حياة الإنسان تأكيدًا كبيرًا، حيث يُخاطب رسوله محمداً- ﷺ- قائلاً:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤

فيبين فيه هذه السجية والطبيعة الموصوفة بالعظمة وهي الأخلاق، يريد بذلك من أمته أن تقتدي به لأنه النموذج الأكمل، ويجعلها رائدةً له في هذا الجانب الذي تبتنى على أساسه الأمم والشعوب، فالأمة التي تفتقد الأخلاق، إنما تفتقد كل فضيلة وسمو ورفعة، ولا يحق لها العيش في الحياة.

ولذا عبَّر أحمد شوقي عن هذا البناء الأخلاقي بقوله:

"وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا"

فالقرآن الكريم إنما يريد من الإنسان أن يكون نموذجًا ومثالاً في هذا الجانب، ويحتذي برسول الله -ﷺ- وبالأئمة الطاهرين الذين عبروا في حياتهم أفضل تعبير عن السلوك المرضي الذي أراده الله من الإنسان في الأرض.

وفي هذا المعنى نراه -ﷺ- يقول" " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ(١) " وفي رواية أخرى «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الْأَخْلَاقِ»(٢).

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: " مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ- ﷺ- قالت:" كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ (٤)".

نعود إلى القرآن الكريم لنستمع إلى بعض آياته الأخرى في بناء الإنسان الكامل، الذي يمكنه التعايش مع بني قومه ومع أمته، حينما يتصف بهذه المواصفات الإيجابية البناءة، والتي تكون معيارًا وميزانًا في منهجيته وسلوكه في الحياة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

فالله سبحانه وتعالى يستنكر على الإنسان أن يكون فظًا غليظ القلب جافٍ، لأن المجتمع ينفر من هذا النمط من الناس، لذلك منّ الله سبحانه على رسوله بهذه الرحمة وهذا

---

١ - أخرجه أحمد في مسنده (١٤/ ٥١٢)ح٨٩٥٢ ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠)ح٤٢٢١ وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة-ﷺ-. وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٥)ح١٤١٨٨ ، وقال السخاوي نقلاً عن ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره مرفوعًا. المقاصد الحسنة (ص: ١٨٠).

٢ - أخرجه البزار في مسنده (١٥/ ٣٦٤)ح٨٩٤٩ من حديث أبي هريرة-ﷺ-، وقال الهيثمي: رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ، غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ رِزْقِ اللَّهِ الْكَلْوَذَانِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٥)ح١٤١٨٨

وقال الطحاوي: فكان معنى ذلك عندنا - والله أعلم - أن الله عزوجل إنما بعثه ليكمل للناس دينهم، وأنزل عليه مما يدخل في هذا المعنى، وهو قوله عزوجل: {اليوم أكملت لكم دينكم} [المائدة: ٣] ، فكانت بعثته إياه عزوجل ليكمل للناس أديانهم التي قد كان تعبد من تقدمه من أنبيائه بما تعبده به منها، ثم كملها عزوجل له بقوله: {اليوم أكملت لكم دينكم} [المائدة: ٣] والإكمال: هو الإتمام، فهو معنى قوله -ﷺ-: " بعثت لأتمم صالح الأخلاق "، أي: صالح الأديان، وهو الإسلام، وبالله التوفيق. شرح مشكل الآثار(١١/ ٢٦٣)

٣ - أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٣/ ٣٨)ح٧١٢٠ ، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣٤٤)ح٦٥٨٠ وقال عقبه: لا يروى هذا الحديث عن صفية إلا بهذا الإسناد، تفرد به يونس بن بكير". وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَأَبُو يَعْلَى بِاخْتِصَارٍ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ الرَّبِيعَ ابْنَ أَخِي صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ لَمْ أَعْرِفْهُ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٥)ح١٤١٨٩ ، وقال الحافظ ابن حجر: وأخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. فتح الباري لابن حجر(٦/ ٥٧٥)

٤ - فقرة " كان خُلقه القرآن" أخرجها مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل(١/ ٥١٣)ح٧٤٦

أما فقرة " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ " أخرجها أحمد في مسنده(٤١/ ١٤٨)ح٢٤٦٠١ ، (٤٢/ ١٨٣)ح٢٥٣٠٢

اللطف الإلهي، حتى يمكن له أن يؤدي دوره في تبليغ الرسالة، ثم يأمره بالتسامح والعفو عن المذنبين والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمر، حتى يُعطي للأفراد القيمة الإنسانية بوجودهم وشخصيتهم.

هذا ما يطلبه الإسلام، فإن الإنسان مطبق للشريعة مادام يسير على المنهج الرباني الذي رسمه الباري جل وعلا له. وإذا ما انحرف فإنه يفقد هذه الفضيلة ويكون هو والحيوان سواء، بل يكون أضلَّ منه كما عبرَّ القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ الفرقان: ٤٤

وإذا طالعنا آيات القرآن الكريم في هذا الجانب وهو بناء الإنسان النموذجي المثالي، فإنا نرى قائمة كبيرة بالصفات المثلى التي يُعزز القرآن الكريم وجودها في الإنسان، كما في سورة المؤمنون.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ المؤمنون: ١ - ١١

فالمطلوب القرآني هو: الإنسان المؤمن الخاشع، المعرض عن اللغو، المؤدي للحقوق، الحافظ للشرف، الأمين الملتزم بالعهد، والمحافظ على الصلوات فإذا ما وجد فإن الأرض تعمر به وكذلك الآخرة حيث يرثُ الفردوس.

فالمقياس القرآني في الإنسان ليس المقياس المادي الدنيوي الذي ترمي إليه المبادئ الأرضية، والنظريات المادية والفلسفات البشرية، إنما المقياس هي الصفات الإنسانية الوحدانية التي رسمتها لنا سورة المؤمنون، وهناك آيات مليئة في القرآن العزيز تهدف هذا الجانب لا يسعُنا أن نذكرها كلها خصوصًا إذا عرفنا بأن موضوع القرآن الكريم هو الإنسان ، وأن الأمور تدور حوله وهو قطب دائرة الوجود، لذلك فإن الله سبحانه تعالى كرمه على كثير ممن خلق على وجه البسيطة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء: ٧٠

كما وصف القرآن عباده الصالحين بأحسن وصف، فقال في سورة الفرقان:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ

لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ الفرقان: ٦٣ - ٧٧

فالقرآن الكريم يدعو إلى صياغة وبناء هذا الإنسان النموذجي، الذي تسمو روحه إلى الفضائل والمناقب، ويبتعد عن زهو الدنيا، عن الكبر والفخر والخيلاء، فمشيهم التواضع، وقولهم سلامًا للجاهل، وهو عبارة عن الإغضاء وإعمارهم الليل بالعبادة، والرجاء من الله النجاة من النار، والاعتدال بالصرف بلا إسراف ولا إقتار بل قوام بين ذلك، ويؤمنون بالتوحيد الخالص لله سبحانه، الخالي من الشرك والهوى وعبادة النفس والشيطان، ولا يقتلون النفوس البريئة المحرمة في قانون الله وشرعه إلا بالحق، ولا يفسدون في الأرض بإشاعة الزنا، ولا يشهدون الكذب والباطل، وإذا مروا باللاهين والعابثين وأهل اللغو مروا بهم أعزاء كرام النفوس.

هؤلاء هم النماذج السوية التي يطلب القرآن الكريم وجودهم في المجتمع، ليقتدي بهم الآخرون وينهجون منهجهم، وهو المنهج الذي جاء به الأنبياء والمرسلون والأئمة الصالحون، وهو إيجاد المجتمع الصالح والإنسان الصالح المتواصي بالحق والصبر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ العصر: ١ - ٣

إلى هنا نكتفي بهذا البيان الأخلاقي الوجيز في بناء الإنسان كما رسمه لنا القرآن الكريم.

المطلب الثالث: البناء الاجتماعي للإنسان في القرآن الكريم.

يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى الالتزام بالأعراف والأخلاق الاجتماعية الإيجابية الطيبة، التي تنمي روح الأواصر الاجتماعية، والعلائق الأخوية، وتذكي العواطف والأحاسيس العميقة في النفس الإنسانية، وهذا ما أرشدنا إليه في كثير من آياته.

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ الحجرات: ١٠

فيشيع الإسلام روح الإصلاح والتسامح والمحبة بين الإخوة المؤمنين، وإذا ما حصلت فيما بينهم خصومة وخلاف فإنه يدعوهم إلى العفو والتغاضي عن الذنب الحاصل من أحدهم إزاء الآخر. ولقد ترجم رسول الله -ﷺ- هذه الحالة بأحسن صورها، يوم آخى بين المهاجرين والأنصار ، ويوم أن خرج إلى تبوك واستخلف علي بن أبي طالب- ﷺ- على أهله وماله، وأمره أن يقيم فيهم، بل وعلى أهل المدينة جميعًا، فكان كهارون حين خلَّفه موسى -عليه السلام- على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه عز وجل.

أخرج البخاري عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»(١).

وفي الأبعاد الاجتماعية التي فطر الله الناس عليها، فالإنسان اجتماعي بطبعه، واجتماعيته تتطلب منه التعارف والعلاقات الاجتماعية الفاضلة، القائمة على أساس التعارف والتعاون والإيثار والتضحية من أجل خدمة الإنسان والإنسانية دون النظر إلى فكره أو ثقافته.

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣

فإذا المجتمع الذي يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح هو المجتمع النموذجي المتكامل الذي يدعو إليه الإسلام.

ولقد كوّن الرسول -ﷺ- أول مجتمع قائم على أساس الأخوة والعلاقات الودية الخيرية، وعلى روح الإيمان والإخلاص والمحبة، ذلكم المجتمع الذي يسوده الارتباط الايماني، وليست العلاقات القائمة على المصلحية والمادية والنفسية كما هي المجتمعات الدنيوية اليوم.

إن البناء الاجتماعي الذي أقامه الرسول-ﷺ- لأمته تنشده الرحمة بين أتباعه والشدة والغلظة على العدو المؤذي.

فصفات المجتمع النبوي للرسول -ﷺ- وأمته من أهم دعائمه الرحمة بينهم والشدة على العدو.

قَالَ تَعَالَى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك(٦/ ٣)ح٤٤١٦ ، وفي كتاب المناقب، باب مناقب علي-ﷺ- (٥/ ١٩)ح٣٧٠٦

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٤/ ١٨٧٠)ح(٢٤٠٤)

وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ الفتح: ٢٩

ومن صفات هذا المجتمع النبوي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحل الحلال من البيع والشراء والتجارة وتحريم الحرام من الزنا والقتل والسرقة والرشوة والربا، ويحثهم على صلة الرحم وبر الوالدين والوصية بالجار والتعاون والحث على النفقة والعطاء، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم من كثير من آياته المحكمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف: ١٥٧

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ لقمان: ١٤ - ١٩

لقد رأينا في وصية لقمان لابنه من الجانب السلوكي والتربوي للإنسان، وكيف يساير الناس ويعايشهم .

قوله: {لا تصعر خدك للناس}، دلاله على التواضع، أي لا تمله كبرًا وتعاظمًا .

{ولا تمشِ في الأرض مرحًا}: أي لا تمشِ مشية الخيلاء والبطر، والمختال الفخور، المتكبر المباهي بمناقبه .

{واقصد في مشيك}: يعود القرآن الكريم ليعلم الإنسان كيف يمشي وما هي آداب المشي بقوله واقصد: أي توسط واعتدل فيه.

{واغضض من صوتك}: أي اخفض وأنقص.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ البقرة: ٢٧٥

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ الإسراء: ٣٢ - ٣٨

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ النساء: ٣٦ - ٣٧

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ المائدة: ٢

فالمطلوب الإنسان المتعاون على تحقيق عوامل البر وأسس التقوى والنهي عن الإثم والعدوان والظلم، كما في الآية المارة الذكر.

مما سبق يتبين لنا كيف يعلم القرآن الكريم أتباعه على العناية بالمجتمع، في كل صغيرة وكبيرة، ويهتم بحياة الإنسان أيما اهتمام، من لحظة الميلاد وحتى بعد الوفاة من الصدقات الجارية وبر الوالدين بعد مماتهما.

المطلب الرابع: البناء الروحي للإنسان في القرآن الكريم.

البناء الروحي هو: البناء القلبي الإيماني الوجداني الذي يعمق في قلب أصحابه القرب من الله والشكر في السراء والصبر على الضراء والرضا بكل ما قدره الله وقضاه.

ولذلك وجدنا الحق تبارك وتعالى عبَّر عن القرآن الكريم بأنه كتاب هداية للبشر جميعًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ الإسراء: ٩

إن القرآن العظيم كتاب هداية للإنسان، والمراد: الهداية بمعناها العام وفي جميع المجالات، يهديه إلى الله أي إلى سبله وإلى الرشد وإلى العلم وإلى الإيمان وإلى الروح وإلى جميع شؤون الحياة المختلفة.

إن الروح هي الوجود الحقيقي للإنسان، لا هذا البدن المادي والهيكل العام، لأن هذا الهيكل لولا ولوج الروح فيه لم يتحرك لحظة، مما يتطلب منا تربية هذه الروح وتهذيبها وتوجيهها نحو الكمالات الإنسانية التي يريدها الله سبحانه وتعالى.

ولله در القائل:

يا خَادمَ الجسم كَمْ تَسْعَى لخدمتِه ... وتَطلُب الربحَ مِمَّا فيه خُسران.

عليكَ بالنَّفْسِ فاسْتكْمِلْ فضائلَها ... فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ(١).

إن من العوامل التي تؤدي إلى الانحراف عن الحق هي النفس، هذه النفس التي إذا تربّت روحيًا، وإذا زكت كانت في أعلى الجنان، وإذا ما تركت سفلت وفجرت، فأصبحت في قعر النيران.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ الشمس: ٧ - ١٠

فتربية الروح باستشعار الخوف من الله، وتعويدها الوجل والخشية منه عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ الأنفال: ٢ - ٤

فدعوة القرآن الكريم إلى تزكية النفس وتربية الروح، إنما هو لأجل أن الروح هي أولاً وبالذات المسؤولة عن تصرفات الإنسان في الخير والشر والحق والباطل، والمواقف والأحداث، لأنها هي التي تسول للإنسان القيام والإقدام على الأعمال، وبالتالي هي التي تجازى.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ ﴾ المدثر: ٣٨

---

١ - الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١/ ٥٥٦)

فالقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأكيد على بناء الجانب الروحي في حياته، فيأمره أن يؤدي الفرائض في وقتها، لأن الصلاة تبعده عن الفحشاء والمنكر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

ويدعوه إلى صيام شهر رمضان المبارك، لتقوية جانب الإرادة والتصميم، والقدرة على التحمل وصد النفس عن الرغبات والشهوات المادية، التي تنازعه في كل وقت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

ويأمره بإخراج الزكاة من باب التربية والتزكية وصفاء النفس من شهوات التعلق بالمال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

ويدعوه للحج إن استطاع إلى ذلك سبيلاً مع البعد عن الصفات المذمومة قولاً وفعلاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

إن جميع ما سبق ذكره من أجل تربية روح الإنسان على المقاومة والمجاهدة والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى.

ومن البناء الروحي للإنسان: الخشية من الله وحده، لأنه وحده الذي يراقب الإنسان ويعلم ما توسوس له نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. ولأنه سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية في السموات والأرض، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تكشف لنا قدرة الله سبحانه وتعالى على معرفة كل خطواتنا بل أنفاسنا، بل النوايا التي يعقدها الإنسان في قلبه يعلمها الله. فإذا كانت حسنة طيبة ولم يوفق لأدائها يعطيه سبحانه وتعالى أجرها وثوابها، وإن كانت والعياذ بالله سيئة فإن عملها فيحاسبه على ذلك، وإن تركها دون عمل ومجرد نية لا يؤاخذه عليها.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٦ - ١٨

ومن هنا فإن القرآن العظيم يُشدد على جوانب المراقبة والخوف من الله سبحانه وتعالى، وأن يكون الإنسان دائمًا على حذر من الذنوب، وارتكاب المعاصي والوقوع في الجريمة، واستشعار نفسه الخوف من الله دائمًا، فإنه إن كان لا يرى الله فإن الله يراه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٩ - ٣٠

فغرض القرآن هو تنمية الإنسان روحيًا بالتوجه والتضرع والخوف من الباري جل وعلا حتى تأتي نفسه يوم القيامة قريرة فرحةً مستبشرة، وبقدر ما يكون الإنسان عارفًا بالله سبحانه وتعالى تكون خشيته منه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٧

وذلك لأن العلماء يعرفون الله حق معرفته، لذلك فهم يخشونه حق خشيته، فهذه التربية الروحية التي من خلالها يبنى الإنسان المؤمن بناءً حقيقيًا، وهذا هو المطلوب القرآني في عملية بناء الإنسان.

المطلب الخامس: البناء الفكري والعقلي للإنسان في القرآن الكريم.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتفكر والتدبر في آياته الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، في السموات وما فيها من شموس وأقمار وكواكب ومجراتٍ وشهب ونيازك، حيث تموت شموس وتنطفي كواكب، وتخلق أخرى محلها، وتتجدد نجوم ومخلوقات غيرها.

وهكذا الأرض وما فيها من بحار وأنهار وسهول وجبال ووديان، وما فيها من سائر المخلوقات من الإنسان والحيوان والجماد في الطبيعة بكل ما فيها من جمال ونضارة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

آل عمران: ١٩٠ - ١٩١

إن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكر في الطبيعة في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، ليعمق عقيدته بالخالق جل وعلا، ويرى بديع الصنع، وإتقان الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾فصلت: ٥٣ - ٥٤

فالقرآن الكريم يدعو إلى النظر والتفكر في الآفاق البعيدة التي خلقها الله في هذا الكون، وكذلك النظر في النفس الإنسانية بكل أبعادها حتى يعلم الخلق جميعًا أنه الحق والعدل وحتى يعتبروا.

ومن أكمل أنواع التفكر في خلق الله والنظر في آياته: التفكر في أعظم آياته الذي خلق الكون من أجله وهو الإنسان، هذا المخلوق العجيب الذي سخر الله سبحانه وتعالى لأجله كل هذه الحياة، وجعله خليفته عليها، وأعطاه من القدرات والإمكانات، من العقل والإرادة والقلب ما عجز عن التمكن من التصرف والاستفادة منها لعظمتها وغزارتها، حتى أنه لم يستفد إلا القليل القليل منها. هذا الكائن العظيم الذي خلق الله الأشياء كلها له، وكرمه على كثير مما خلق، وجعل قوى الطبيعة تحت اختياره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾الإسراء: ٧٠

إنه بمقدار ما هو كريم عند الله وعزيز إذا طبق أحكامه ودساتيره كما أراد، وبمقدار ما هو مدحور مذموم إذا لم يلتزم بتطبيق أحكامه.

لقد دعت كثيرًا من آيات القرآن الكريم إلى إعمال الفكر والعقل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس: ١٠١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾الأعراف: ١٨٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾الرعد: ٣ - ٤

وإن من لم يعقل عقل وفكره فهو كالأنعام وربما أضل منها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان: ٤٤

ويكفينا شرفًا أن أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق ، والتي يحثنا فيها المولى تبارك وتعالى على مزيد من العلم والمعرفة وإمعان النظر والفكر والعقل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ - ٥

هذه هي رؤية القرآن للإنسان السليم السوي عقليًا وفكريًا، الذي خلقه على أحسن وجه وهيئة وتركيب وصورة، واستعمله في مختلف مجالات الحياة، مما يحفز الإنسان إلى الالتزام بالقوانين والضوابط لتنظيم شؤونه في الحياة، وتلك هي حضارة القرآن التي تدعو إلى الإعمار والبناء والاستثمار في الأرض على أحسن الوجوه، بخلاف الحضارات البشرية التي تسير نحو الإفراط والتفريط، وبخلاف التمدن البشري الذي يسير نحو الانزلاق والهاوية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠

إن القرآن الكريم يخبرنا أنه ما من سؤال سأله الصحابة الكرام إلا وأجابهم رسول الله-ﷺ- مبلغا عن رب العالمين عز وجل، فقد وردت كلمة يسألونك في القرآن الكريم في (١٣) موضعًا.

فالصحابة الكرام سألوا عن ظواهر فلكية وظواهر كونية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة: ١٨٩

وعن أمور اقتصادية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ البقرة: ٢١٥

وعن أمور عسكرية وسياسية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ البقرة: ٢١٧

وعن أمور صحية واجتماعية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة: ٢١٩

وعن أمور أسرية واجتماعية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ البقرة: ٢٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ البقرة: ٢٢٢

وعن أمور دنيوية ودينية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾المائدة: ٤

وعن أمور أخروية وغيبية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾الأعراف: ١٨٧

وعن أمور تاريخية من الامم السابقة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ الكهف: ٨٣

وعن ظواهر جيولوجية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ طه: ١٠٥

وهذه كلها رسائل واضحة من الله سبحانه وتعالى بالنظر إلى إعمال العقل والفكر وعدم الجمود والتوقف مما يبرز مكانة البناء العقلي والتفكيري في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير:

لقد عني الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها؛ بغية أن يهيئه؛ ليكون الأساس الأول في بناء المجتمع، وبرزت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين، حين خلقه الله - تعالى- بيديه ونفخ فيه من روحه ومنحه العقل والحواس، فبان بهذا أنه مخلوق كريم على الله - تعالى-، ثم تبعته العناية الإلهية حين قضى الله - تعالى-أن يكون خليفة في الأرض معمّرا لها، وقد تُوّجت هذه العناية بشريعة الإسلام، وبما فيها من هدايات وتوجيهات تخص الفرد المسلم، كادت تستغرق العهد المكي كله، ولم يغفلها العهد المدني؛ هدفت كلها إلى بناء شخصية للفرد المسلم متزنة مستقلة؛ تجمع بين ما استودع فيها من رغبات ونزعات، وبين ما أنيط بها من مسؤوليات على تضمنته.

ولما جاء الإسلام وبزغ فجره قضى على الفوارق العصبية، والضغائن القبلية، وصار المسلمون سواسية لا فرق بينهم ولا تفاضل إلا بميزان التقوى، فعن أبي هريرة الله، قال: سئل رسول الله ﷺ : أي الناس أكرم؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ» الحديث (١).

وعليه فقد عُني الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها؛ لذلك كانت عناية الإسلام ببناء الإنسان في عالم متغير له خصائصه ومعطياته وتحدياته وانعكاساته، وذلك في جميع الجوانب النفسية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية والرقمية وغيرها من الجوانب، وذلك انطلاقا من اليقين بأن الاستثمار البشري أفضل أنواع الاستثمار.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾(٢).

وجه الدلالة: إن الآية منعت من سب آلهة المشركين وتحقيرها، وهي مصلحة بلا شك، وتحفيز للناس إلى عدم عبادتها، حتى لا يسب المشركون المولى عز وجل، فكانت مفسدة سب الباري عز وجل أعظم من كل مصلحة فيها ذم لآلهة المشركين، وتحفيز الناس إلى عدم عبادتها. قال ابن كثير: «يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو .» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن سورة يوسف، باب قوله لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، (٧٦/٦) حديث رقم (٤٦٨٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب من فضائل يوسف عليه السلام، (١٠٣/٧) حديث رقم (٢٣٧٨).

(٢) سورة الأنعام {الآية: ١٠٨}.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

وقال القرطبي: «وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين .» (١).

وقد بينت الدراسة ما تميز به الرسول الكريم ﷺ من خلق عظيم، تمثل في عدله ورحمته ورأفته وتسامحه، وحبه للعفو عن الآخرين حتى مع الكافرين، والأخلاق الإسلامية، في التعامل مع غير المسلمين في السلم والحرب، في نظرتها الشاملة للإنسان واحترامه حيا وميتا. كما بينت أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، السلم لا الحرب، فلا يحرص الإسلام على قتل الكفار والمخالفين، بل يحرص على إعطائهم الفرصة الكافية؛ للتعرف على محاسن هذا الدين والانضواء تحت رايته بعد القناعة الكاملة، فلا إكراه في الدين، ولا تخويف ولا ترويع ولا غدر ولا خيانة، ولا إسراف في قتل أحد، بل معاملة كريمة قائمة على الاحترام والتقدير للنفس الإنسانية، ودعوة صادقة في حب الخير للناس كافة، بدعوتهم إلى دين الله تعالى، فقد صح من حديث عبدالله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» (٢).

فهذا الحديث صريح في عدم إهدار النفس وقتلها، وأنَّ من قتل نفسًا واحدةً فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.

ومما لا ريب فيه أن الإسلام رسالة جامعة تتميز بالشمول والتكامل، تبدأ بتزكية الفرد، مرورًا بإسعاد الأسرة ، وإصلاح المجتمع، وبناء الأمة ، وإقامة الدولة ، وانتهاءً بسلام العالم وخيره.

إنه شمول يستوعب الزمن كله ، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الإنسان كله، فالإسلام رسالة لكل الأزمنة ولكل الأجيال ، ليست موقوتة بجيل معين أو بعصر معين ، كما أنها رسالة للعالمين ليست وقفا على شعب مختار دون شعب ولا لطبقة دون طبقة من البشر ، كما أنها ليست رسالة لعقل الإنسان دون روحه ، ولا لروحه دون جسده ، إنها رسالة متكاملة للإنسان كوحدة متكاملة، ذات أبعاد ثلاث: روحية وعقلية وجسدية، وفي أطوار حياته كلها من قبل ميلاده إلى ما بعد وفاته، وفي كل مجالات حياته .

والإسلام يدعو إلى الوحدة بين جميع أفراد المجتمع الإسلامي في الإحساس والشعور، ووحدة في الوجدان والتفكير، ووحدة في السلوك والعمل، فتتقارب النفوس ويستقيم المجتمع، وفي ذلك يقول النبي ﷺ، من حديث النعمان بن بشير- ﷺ-، عن النبي ﷺ أنه قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (٣).

وهذه الاستقامة مبناها الوحدة بين أفراد المجتمع الإسلامي مرجعها أن صدورها عن أصل واحد ونبع واحد؛ وهو القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما.

---

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}، (١٣٣/٤) حديث رقم (٣٣٣٥).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل، (١٠٦/٥) حديث رقم (١٦٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (١٠/٨) حديث رقم (٦٠١١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٢٠/٨) حديث رقم (٢٥٨٦).

وكان من الطبيعي والمنطقي والحتمي أن تتصف التربية الإسلامية بخاصية التكامل ،" فتولي عنايتها بالجانب العقلي والجسدي والروحي والاجتماعي في تكوين الشخصية الإنسانية، وهي بذلك تركز على تنشئة " الإنسان الصالح " بدون قيود الزمان أو المكان ، وهي بهذا تكون قد فاقت التربية الحديثة التي تنشد تكوين " المواطن الصالح " حسب معايير البيئة التي يعيش فيها أو العصر الذي يحيا فيه"(١).

فيما يلي بيان وتوضيح للمنهج النبوي في بناء شخصية الإنسان المسلم لعالم متغير:

المطلب الأول: البناء العقلي والفكري للإنسان في السنة النبوية:

تميز الإنسان على سائر المخلوقات بنعمة العقل ، وأن وظيفة العقل أن يفكر ، كما أن وظيفة العين أن تبصر ، وتوهم أن يعيش الإنسان بعقل معطل التفكير كتوهم أن الإنسان يعيش بعين منغمضة ، وذلك رد للأشياء عن مجراها الطبيعي.

وقد حث النبي ﷺ على طلب العلم وبين فضل العلم والتفقه فيه.

أخرج البخاري عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ» (٢).

والعقل هو أداة للاستنباط: ومن ذلك استنباط الأحكام فيما لا يوجد فيه نص أو سنة أو إجماع إلى الاجتهاد الذي يقوم على العقل ويتخذ منه سبيلاً لتقرير الحكم، وقد حض رسول الله ﷺ على ذلك.

فقد أخرج البخاري عن عمرو بن العاص ﷺ، عن رسول الله-ﷺ- قال: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » (٣).

ولذا نجد رسول الله-ﷺ- دومًا في تربيته لأصحابه الكرام يتيح المجال للعقل أن يفكر ويُكَوِّن آراءه ، ثم إتاحة مجال فسيحًا أمام صاحب الرأي ليعبر عما توصل إليه ويجول بنفسه، وليس أدل على ذلك من أسلوب الحوار وأسلوب الشورى الذي كان يتبعه رسول الله-ﷺ- في منهجه الدعوي والتربوي.

فكم مره نسمعه يقول : أشيروا علي أيها الناس(٤)؟

فقبل الحرب في بدر « قال رسول الله -ﷺ-: أشيروا علي أيها الناس. وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم»(٥).

---

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية لعبد الحميد الصيد الزنتاني (١٩٩٣)، ط٢ ، ليبيا : الدار العربية للكتاب ، (ص ١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (١/٢٥) حديث رقم (٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، (٩/١٠٨) حديث رقم (٧٣٥٢).

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٥/ ١٢٦)ح٤١٧٨

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٦١٥).

وفي بدر أيضا أخذ برأي الحباب بن المنذر -ﷺ- بشأن التمركز عند ماء بدر فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي» (١).

وفي الخروج لملاقاة الكفار في أحد شاورهم وأخذ برأي الأكثرية منهم في الخروج لملاقاة الكفار «فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأيه في ذلك، وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا؟ » (٢).

وفي الأحزاب أخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق.

قال ابن هشام: «يقال: إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت» (٣) .

وبعد غزوة الأحزاب مباشرة ، ينادي رسول الله - ﷺ-: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" لخيانتهم عهدهم لرسول الله -ﷺ- ونصرتهم للأحزاب فتخوف ناس من الصحابة فوت الصلاة فقالوا : ما أراد إلا السرعة.

أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ- ﷺ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"(٤).

فإن لم تكن تلك هي حرية التفكير فماذا تكون ؟! ولم تكن مشاورته لهم في الأمور الجسام وحسب .. بل حتى في الأمور البسيطة.

فعند اتخاذه للمنبر يخطب عليه فيهم شاورهم، وفي البحث عن وسيلة لإعلان دخول وقت الصلاة قبل رؤيا الآذان التي شاهدها عبد الله بن زيد بن ثعلبة شاورهم «وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله ﷺ، فقال له» (٥).

---

(١) سيرة ابن هشام (٦٢٠/١).

(٢) أخرجه القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى(٢/ ١٨٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٢٢٤/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ(٥/ ١١١)

(٥) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب بدء الأذان(١/ ١٢٤)ح٦٠٤ فقال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلاَنَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ- ﷺ-، كَانَ يَقُولُ: كَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ

والأمثلة على نهج الشورى التربوي، وحرية إبداء الآراء في تعامل رسول الله مع أصحابه الكرام وتربيته لهم عليهما، أكثر من إحصائها هنا والغاية مما سبق، هو توضيح أن الشورى وطلب الرأي من الآخرين رغم غناء الله ورسوله عنهما إنما في اعتداد النهج التربوي لرسول الله ﷺ بقيمة العقل الإنساني، ومن هنا نلاحظ أن المدرسة المحمدية قد وفرت من أجواء الحرية ما يسمح للعقل الإنساني أن يُفكر ليُكون آراءه ويعرضها وهو آمنا متيقنا أنه سوف يُعمل بها متى كانت صائبة وفيها المصلحة.

ومن آيات ودلائل عناية المدرسة النبوية بتنمية وبناء العقل أيضا، ما يمكن تسميته بالعصف الذهني ، أو التعلم التفاعلي بين الطالب والمعلم، أو لكل سؤال من المتعلم جواب من المعلم.

"فالتفكير العقلي يقود إلى التساؤل ، طلبا للإيضاح حول شيء ما ، أو طلبا لفهم المعاني والأسباب ، أو إعادة النظر في معنى ما هو موجود " (١).

إن المدرسة النبوية قد فتحت الباب على مصراعيه أمام العقل الإنساني ليتساءل في جميع مجالات الحياة.

وحث الإسلام على تكريم العقل عما يفسده، فأمر بالحافظة عليه والنهي عن كل ما يؤثر في سيره أو يغفله فضلاً عما يزيله، فحرَّم الله تعالى لذلك شرب الخمر؛ وكذا حرَّم النبي ﷺ شرب الخمر.

أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ، فَقُلْتُ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». (٢)

ولذلك، وضع المعلم الأكرم رسول الله ﷺ، معايير عدة لضبط العمل العقلي لدى الإنسان بغية سلامة النظر والتفكر وصولا للرأي السديد نجملها فيما يلي (٣):

١- التجرد من الأهواء والميول الشخصية والانسياق وراء الأوهام والظنون ، كل ذلك حتى لا ينحرف العقل عن المنهج العلمي الدقيق والنظرة الموضوعية للأمور.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة-ﷺ- أن رسول الله-ﷺ- قال : " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ " (٤).

النَّصارى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بِلاَلُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ».

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب بدء الأذان(١/ ٢٨٥)ح(٣٧٧)

(١) التربية على حقوق الإنسان في الوسط المدرسي " حقوق معرفية تفكيرية " المؤلف: عبد المجيد الانتصار (٢٠٠٢) الدار البيضاء : مكتب حقوق الإنسان ، (ص ٣١ – ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (١٦١/٥) حديث رقم (٤٣٤٣). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، (٩٩/٦) حديث رقم (١٧٣٣).

(٣) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، مرجع سابق ، (ص ٥٣١ – ٥٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب ، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا، (١٩/٨) حديث رقم (٦٠٦٦). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، (١٠/٨) حديث رقم (٢٥٦٣).

وصحح ابن حبان عن فضالة بن عبيد-ﷺ- أنه سمع رسول الله يقول : " الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ " (١).

ومن مجاهدة النفس : التحكم في أهوائها وضبط ميولها ، وعدم الانسياق وراء تعصبها الفكري.

٢- التبينّ والتثبت والتروي في معرفة الحقائق وفهم أسبابها واستخراج قوانينها كل ذلك قبل تقرير نتائجها وإعلان أحكامها.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة-ﷺ- أنه سمع رسول الله-ﷺ- يقول : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ "(٢).

٣- عدم الاقتصار على فهم ظواهر الأشياء وأعراضها ، بل العناية التامة بفهم جواهرها وحقائقها أخرج مسلم عن أبي هريرة-ﷺ- أن رسول الله-ﷺ- قال : " رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ "(٣).

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا "(٤).

ومن مظاهر تكريم الإسلام للعقل أمره بالتعلم والحث على ذلك. فكما أن نمو الجسم بالطعام فإن نمو العقل بالعلم؛ إذ بهذا يكون الإيمان عن إدراك أوسع، وفهم أعمق، واقتناع أتم.

لقد قرن الله سبحانه وتعالى ذكر أولي العلم بذكره عز وجل، وملائكته.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾آل عمران: ١٨

لقد حثنا رسول الله -ﷺ- على التفقه في الدين يعنى الفهم وإعمال العقل والتدبر.

أخرج البخاري عن معاوية بن أبي سفيان -ﷺ - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ» (٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، ذكر ما يجب على المرء من مجاهدة الشياطين عند تزيينهم له المعاصي كما يجب عليه مجاهدة أعداء الله الكفرة، (٥/١١) حديث رقم (٤٧٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (١٠٠/٨) حديث رقم (٦٤٧٧). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، (٢٢٤/٨) حديث رقم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، (٣٦/٨) حديث رقم (٢٦٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، (٨/٧) حديث رقم (٥٠٩١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (٢٥/١) حديث رقم (٧١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، (٥٣/٦) حديث رقم (١٠٣٧).

المطلب الثاني: البناء الجسدي للإنسان في السنة النبوية:

الجسد هو: غاية الإنسان للوصول إلى أهدافه، والقيام بأعبائه الدينية والدنيوية، فالمسلم مطالب بالسعي في الأرض والعمل لكسب رزقه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾الملك: ١٥

أخرج البخاري عَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(١).

ينبغي على المسلم أن يراعي قدراته الجسدية، ويهتم بنعمة الجسد من مأكل ومشرب وملبس ونوم وراحة وقسط من الترفيه المباح بعيدًا عن سائر أنواع المعاصي.

ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص -ﷺ- أن النبي-ﷺ- قال " فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا "(٢).

وجاء أيضًا عن أبي هريرة -ﷺ- " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "(٣).

إن البناء الجسدي للإنسان يتلخص في أنه يولد صغيرًا ضعيفًا ثم ينمو ويقوى شيئًا فشيئًا حتى يبلغ أشده، ثم بعد ذلك تميل أعضاؤه إلى الضمور وقوته إلى الخور والضعف؛ حتى تنتهي به حياته على الأرض.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ الروم: ٥٤

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده(٣/ ٥٧)ح٢٠٧٢

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، (٣/٣٩) حديث رقم (١٩٧٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام ، باب النهي عَنْ صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا، (٣/١٦٢) حديث رقم (١١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٨/٥٦) حديث رقم (٢٦٦٤).

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ الحج: ٥

وقد رغب النبي ﷺ المسلمين في الاقتصاد على ما ينفع بناء جسدهم؛ فحذرهم من الإسراف في المأكل والمشرب.

أخرج الترمذي وصححه عن المقداد بن معدي كرب ﷺ، انه سمع النبي ﷺ يقول : «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» (١).

فهذا حض من الرسول الكريم -ﷺ- على أن من تمام صحة الجسد أن يلتفت الإنسان إلى الاقتصاد في مأكله ومشربه، وإلى إعطاء نفسه حقها من الاعتدال من الطعام والشراب، ففي هذا الصحة المثلى للإنسان.

وقد رغب الرسول-ﷺ- في طهارة النفس كما رغب في طهارة البدن؛ وقد اتخذ الصلاة من المفروضة سبيلاً لبيان ذلك والحض عليه.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة -ﷺ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ». قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا» (٢).

وقد حث رسول الله-ﷺ- على الاهتمام بالإنفاق على الأبناء، وجعل أفضل ما ينفق الرجل من ماله ما ينفقه على عياله ، مقدما هذا الإنفاق على ما ينفقه على دابته وأصحابه المجاهدين في سبيل الله ، تأكيدًا على ضرورة العناية بتوفير الغذاء الصحي الجيد كمًا وكيفًا للأبناء.

أخرج مسلم عن ثوبان-ﷺ- أن النبي-ﷺ- قال : " أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ " (٣).

كما دعا رسول الله-ﷺ- إلى إعطاء الجسد القدر الكافي من الراحة التي يستعيد بها حيويته ونشاطه ويجدد طاقته وقدراته.

أخرج مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال : دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : لِزَيْنَبَ تُصَلِّي ، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ . فَقَالَ : حُلُّوهُ ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ " (٤).

ودعا رسول الله -ﷺ- كذلك على اللعب والترويح الهادف لأثره الفعال في الاستجمام وإعادة القوى والطاقات الجسدية والنفسية وتجديدها.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (١٨٨/٤) حديث رقم (٢٣٨٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الأطعمة ، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (٤٤٨/٤) حديث رقم (٣٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مو اقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (١١٢/١) حديث رقم (٥٢٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، (١٣١/٢) حديث رقم (٦٦٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، (٧٨/٣) حديث رقم (٩٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكربأن يرقد أو يقعد، (١٨٩/٢) حديث رقم (٧٨٤).

أخرج البخاري عن أم المؤمنين عائشة ﷺ، قالت : " كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي ". (١)

وأكد رسول الله-ﷺ- على ضرورة الاهتمام بوقاية الجسد من الأمراض.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال : " لَا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ " (٢).

ودعا رسول الله-ﷺ- كذلك إلى التماس العلاج المناسب لكافة الأمراض التي تصيب البدن ، فقد جعل الله لكل داء دواء.

أخرج مسلم عن جابر ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "(٣).

وقد دعا رسول الله-ﷺ- إلى ضرورة الاهتمام بنظافة البدن فحث على الطهور، والوضوء ، واستعمال السواك ، وإتباع سنن الفطرة في تنظيف البدن، والغسل .. كل ذلك بالطبع لما للنظافة من أثر إيجابي على سلامة البدن ونموه، ومن ثم تمكن صاحبه من القيام بمهامه في الحياة.

روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: " وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ ، وَنَتْفِ الْإِبْطِ ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " (٤).

وسُئلت عائشة- ﷺ- بأي شيء يبدأ النبي-ﷺ- إذا دخل بيته، قالت : بالسواك(٥)"

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، أَوْ عَلَى النَّاسِ ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ " (٦).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " حَقٌّ لِلهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ ". (٧)

وللرياضة البدنية مكانتها كذلك في المدرسة النبوية الشريفة بشأن بناء الجسد والعناية به، فقد حث رسول الله-ﷺ-على رياضة المشي.

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : " كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا فَنَقْتَرِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خُطْوَةٍ دَرَجَةً " (٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، (٣١/٨) حديث رقم (٦١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب لا عدوى، (١٣٩/٧) حديث رقم (٥٧٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، (٢١/٧) حديث رقم (٢٢٠٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، (١٥٣/١) حديث رقم (٢٥٨).

٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب السواك (١/ ٢٢٠)ح(٢٥٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، (٤/٢) حديث رقم (٨٨٧). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، (٨٥/٩) حديث رقم (٧٢٤٠).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، (٤/٣) حديث رقم (٨٤٩).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، (١٣١/٢) حديث رقم رقم (٦٦٤).

كما حث رسول الله-ﷺ- على ممارسة رياضة السباق بأنواعها المختلفة، فقد سابق رسول الله-ﷺ- بالخيل.

أخرج الشيخان عن ابن عمر ﷺ " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَ بِالْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ مِنَ الْحَفْيَاءِ(١)، وَكَانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ(٢)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا "(٣).

كما دعا رسول الله-ﷺ- إلى ممارسة رياضة الرمي.

أخرج مسلم عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا". (٤)

المطلب الثالث: البناء الروحي للإنسان في السنة النبوية:

لقد خلق الله الإنسان من جسم وروح فأبدع خلقه وسواه فعدل خلقه وجعله في أحسن تقويم وصوره على أحسن صورة، وليس المقصود من خلقه جمال جسمه وهيئته ولا حسن سمته وخلقته، إنما الجمال جمال الروح وصفاء القلب، وقد أشار النبي-ﷺ- إلى تلك الناحية، وهذه الحقيقة المؤمنة.

أخرج مسلم عن أبي هريرة-ﷺ- قال: قال رسول الله-ﷺ-: «إن الله لاَ يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (٥).

الروح هي تلك الطاقة المجهولة التي لا نعرف حقيقتها ولا طريقة عملها.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (٦).

لكنها على أية حال وسيلتنا للاتصال بالله سبحانه ، وهي مهتدية إلى الله بفطرتها ، إنها من روح الله التي أودعها قبضة الطين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٧).

وقد وضح ابن القيم مفهوم الروح فقال: «إنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب

---

١ - «الحفياء» وهو بالمد والقصر: موضع بالمدينة على أميال. وأظنها في «الغابة» التي تسمى اليوم الخليل في شمال المدينة النبوية. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤١١)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٠٢)

٢ - مسجد بني زُريق: مسجد بني زريق دخله رسول الله -ﷺ- وتوضأ فيه، وعجب من قبلته، ولم يصلّ فيه، وكان أول مسجد مسجد قرىء فيه القرآن. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٦٧)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل يقال مسجد بني فلان، (٩١/١) حديث رقم (٤٢٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، (٣٠/٦) حديث رقم (١٨٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (٣٨/٤) حديث رقم (٢٨٩٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، (١١/٨) حديث رقم (٢٥٦٤).

(٦) سورة الإسراء {آية: ٨٥} .

٧ - سورة الحجر الآية ٢٩

استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح» (١).

والإسلام يعني عناية خاصة بالروح ، إنها في نظره مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه ، فالطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته وأعظمها وأشدها اتصالا بحقائق الوجود.

فطاقة الجسم محدودة بكيانه المادي وما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر طلاقة من طاقة الجسد لكنها أيضا محدودة بما يعقل، محدودة بالزمان والمكان، بالبدء والنهاية، ومحكومة بالفناء. إن طاقة الروح في كيان الإنسان هي التي لا تعرف الحدود والقيود، وهي وحدها التي تملك الاتصال بما يدركه الحس ولا يدركه العقل، وهي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي، تملك الاتصال بالله» (٢).

وقد رسخ رسول الله ﷺ قيمة أخلاقية من قيم الإسلام، ألا وهي فضيلة الصدق ونقيضها رذيلة الكذب.

الصدق: هو إظهار الحق ومطابقته للواقع، وهذا الأمر الجلل يكسب الثقة بين الأفراد، وخاصة عندما يعلم المتحاور أن الآخر صادق معه في وعوده وأفعاله، فالنفس تطمئن، والثقة تستمر، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تضمنت توجيه رباني للمؤمنين بأن يكونوا صادقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩

والصدق في عمومه مع الله، ومع النفس، ومع الآخرين، يظهر في السلوك والأعمال، وفي الحوار دائما يشترط أن يكون الصدق في المقدمة حتى تكون الأمور جلية واضحة، فالصادق يجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

أخرج الشيخان أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا "(٣).

فالصدق مطلب حياتي والزامي؛ لتسير به عجلة الحياة وتستقيم، فخير البشرية هم الرسل عليهم السلام كانوا يدعون الله أن يرزقهم الصدق في أقوالهم وأفعالهم؛ لأنهم يحتاجون إلى الحوار مع أقوامهم.

فقيمة الصدق تجعل الإنسان مطمئن النفس، لا يخشى ولا يخاف أن يُفضح أمره في يوما ما، وكل أسلوب يكون الصدق أساسه يكون نجاحه مأمول، وخاصة الحوار مع الآخر بصدق يؤلف بين القلوب، ويقرب المسافات، ويحقق الأهداف، هذا في الدنيا، أما في الأخرة فإن للمسلمين الثواب والفوز العظيم من عند الله.

إن السنة النبوية من خلال تربيتها للروح ترتكز على دعائم راسخة، وتقوم على أسس متينة، وهذه الدعائم وتلك الأسس هما اللذان يمثلان منهج السنة النبوية في التربية الروحية.

---

(١) الروح لابن القيم (٢/ ٥٢٠)

(٢) إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، المؤلف: مواهب إبراهيم عياد وآخرون (١٩٩٣): الإسكندرية: منشأة المعارف ، (ص ٥ – ٥٣).

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، (٢٥/٨) حديث رقم (٦٠٩٤). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (٢٩/٨) حديث رقم (٢٦٠٧).

وطريقة الإسلام في تربية الروح هي: أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور، ومن هنا تأتي القيم الأخلاقية(١) التي ارتضاها رب العالمين لتكون موجهات لسلوكيات عباده، لتلعب دور الوسيط في هذه الصلة، ومن ثم تهذب غرائز الإنسان وتسمو بنزعاته وتتجه بسلوكياته نحو المنحى الأخلاقي.

إن من العبادات القلبية التي تربي الروح: التوكل على الله تعالى، وتسليم الأمور إليه، والتطلع إلى ما عنده وقطع العلائق عمن سواه.

أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب-ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٢).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث عن التوكل: «وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وتوكيل الأمور إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه»(٣).

ومن البناء الروحي للإنسان أيضًا: الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان المرء إلا بها.

فقد ثبت في حديث جبريل-عليه السلام- وسؤاله للنبي-ﷺ- عن الإيمان، فقال: ما الإيمان؟ فأجاب فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»(٤).

لقد حرص الإسلام في تربية الروح على مراقبة الله تعالى للإنسان، ومراقبة الله تعالى تحمل الإنسان على الإحسان في كل عمل يقوم به.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٥).

ويُغني عن الذكر التفصيلي للنصوص النبوية الشريفة الداعية للقيم السابقة ، كأدلة على عناية المعلم الأكرم رسول الله-ﷺ- للسلف الصالح بتربيتهم روحيًا أن الله تعالى مدحه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٦) هو خير برهان على تجلي كل القيم الأخلاقية السابقة في سلوكيات رسول الله-ﷺ- في الواقع العملي مع السلف وحتى مع أعداءه من الكفار واليهود والنصارى ؛

---

١ - المقصود بالقيم الأخلاقية أنها: " كل ما شرعه رب العالمين من مبادئ ومعايير أخلاقية تعمل كموجهات للسلوك البشري ، ويتم الحكم على السلوك في ضوئها » من قبيل " العدل، والأمانة، والرحمة، والإخلاص، والشورى، والتعاون، والعمل، وتحمل المسؤولية، والإحسان، والصدق، والصبر، والحياء، والحرية، والوفاء، والتواضع ... الخ.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في التوكل على الله،(١٦٦/٤) حديث رقم (٢٣٤٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب التوكل واليقين (٢٦٦/٥) حديث رقم (٤١٦٤).

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢، (٤٨٤/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، (٣٠/١) حديث رقم (١٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، (١٩/١) حديث رقم (٥٠).

(٦) سورة القلم {آية: ٤}.

ولذلك كله حملت المدرسة النبوية الشريفة على عاتقها تربية جيل السلف الذهبي على أساس تلك القيم، فاستلهموها من رسول الله-ﷺ-، وتمثلوها وعاشوها عملاً وتطبيقًا حتى أننا لنجد الرجل منهم يعذب عذابًا تزول منه الجبال وما يرتد عن دينه، وكيف وقد ذاقت روحه لذة ونعيم الاتصال بالله عز وجل، وعاينت الإحساس بآثار إبداع الله في الكون ، والإحساس بقدرة الله التي يعجز عنها الوصف.

أمثلة رائعة لأرواح سمت فوق الدنيا بأسرها بكل زخرفها ولهوها ولعبها صوب الله سبحانه وتعالى، نجدها في آل ياسر " عمار وياسر و سمية "([1])، ونجدها في بلال بن رباح([2]) وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم أجمعين.

وتبقى ضرورة الإشارة إلى أن الآثار الإيجابية للتربية الروحية تتجلى في معالم كبرى لشخصية المسلم هي: الإخلاص لله تعالى في كل الأعمال، والتوكل عليه سبحانه جل شأنه، والاستقامة الذاتية، ومراقبة الله في السر والعلن.

وهكذا يتضح أن المدرسة المحمدية ممثلة في الرسول الأكرم ﷺ في نظرتها التربوية في بناء الإنسان لعالم متغير لم تعتن بجانب على حساب جانب، بل نظرت للإنسان نظرة تكاملية شمولية بجميع جوانبه العقلية والجسدية والروحية في توازن دقيق، بحيث لا يطغى جانب على جانب، وحتى تتكون الشخصية السوية الإيجابية القادرة على أداء رسالتها في الحياة في ظل عالم متغير.

---

١ - أخرج البيهقي في الشعب (٣/ ١٧٢)ح١٥١٥ فقال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ، حدثنا أَحْمَدُ، حدثنا يُونُسُ، عَنِ [ص:١٧٣] ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي رِجَالٌ مِنْ آلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَنَّ سُمَيَّةَ أُمَّ عَمَّارٍ عَذَّبَهَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَهِيَ تَأْبَى حَتَّى قَتَلُوهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِعَمَّارٍ وَأُمِّهِ وَ أَبِيهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِالْأَبْطَحِ فِي رَمْضَاءِ مَكَّةَ فَيَقُولُ: " صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ "

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير(٢٤/ ٣٠٣) ح٧٦٩ فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا أسد بن خالد، عن سليمان بن قرم، عن الأعمش، عن عبد الرحمن بن أبي زناد، عن عبد الله بن الحارث، عن عثمان بن عفان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمار، وأم عمار: «اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٩٣): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

٢ - أخرج ابن ماجه في سننه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل سلمان و أبي ذروالمقداد (١/ ٥٣)ح فقال: حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا زائدة بن قدامة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: " كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد و اتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد ". وقال البوصيري في الزوائد: هَذَا إِسْنَاد رِجَاله ثِقَات. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/ ٢٣)

وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق الحسين بن علي الجعفي عن زائدة به (٣/ ٣٢٠)ح٥٢٣٨، وقال الحاكم عقبه: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وو افقه الذهبي.

المبحث الرابع: المنهج الفريد الذي تميزت به السنة النبوية في بناء الإنسان المسلم لعالم متغير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بناء الإنسان كإنسان "البناء الاجتماعي":

فطر الله تعالى الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل بطبعه إلى بني جنسه ويكره العزلة، لأنه اجتماعي بطبعه ومحتاج لغيره، وتعتمد السنة النبوية في بناء المجتمع على قوة الرابطة التي تضعها بين المسلمين، وتجعل منهم جسمًا واحدًا يتجه بقوة إلى غاية واحدة وهي التعاون والتكامل والتكافل الاجتماعي.

أخرج الشيخان عن النعمان بن بشير ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١).

ويحض النبي ﷺ على هذا المعنى فيقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ مَا فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ لا عَنْهُ بِمَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

ومن مظاهر البناء الاجتماعي ما يلي:

١- المساواة: إن المساواة من القيم التي تقضي على الفوارق العنصرية، وتقضي على الاستعلاء على الآخر، فعندما يفهم المتحاورون هذه القيمة وتُبنى العلاقات الحوارية على قيمة المساواة، لا يشعر الآخر بالدونية، وتتكون لديه القدرة على الحوار الفعال والثقة بمكانته وقيمته الاجتماعية.

ومن نماذج المساواة في السنة النبوية ما أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ " إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ(٣) وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ(٤) "(٥).

قال الخطابي: معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيبًا في قومه، وفاجر شقيّ فهو الدّنيّ وإن كان في أهله شريفًا رفيعًا. (٦) وقيل معنى الحديث: إن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي، فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (١٠/٨) حديث رقم (٦٠١١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٢٠/٨) حديث رقم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (١٢٨/٣) حديث رقم (٢٤٤٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم، (١٨/٨) حديث رقم (٢٥٨٠).

٣ - «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية» يعني الكبر، وتضم عينها وتكسر. النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ١٦٩).

٤ - أَهْوَن عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ: أَيْ أَذَلّ عَلَى اللَّهِ أَيْ عِنْدَهُ .(مِنَ الْجِعْلَانِ): بِكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ جَمْعُ جُعَلٍ بِضَمِّ فَفَتْحٍ دُوَيْبَةٌ سَوْدَاءُ تُدِيرُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهَا، (الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ): أَيِ الْعَذِرَةَ. عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٤/ ١٦)

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، (٤٩٢/٤) حديث رقم (٥١١٦). وأخرجه الترمذي في جامعه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بعد باب في ثقيف و أبي حنيفة (٢٢٥/٦) حديث رقم (٣٩٥٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (١٣٠٢/٣).

فاجر شقي فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال ، ويؤكد النبي-ﷺ- أن الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب، أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو إذا كان الأصل واحدًا فالكل إخوة، فلا وجه للتكبر، لأن بقية الأمور عارضة لا أصل لها، حقيقة نعم! العاقبة للمتقين وهي مبهمة، فالخوف أولى للسالك من الاشتغال بهذه المسالك(١).

لقد حقق الإسلام هذه المساواة بين جميع أفراد المسلمين إلا بالتقوى.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات: ١٣

فقوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) أي: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة(٢).

وفي هذا المعنى قال أ.د/ موسى شاهين: رغم ما كان عليه الصحابة في أول الإسلام من الفقر، ورغم ما كان عليه أوائل الصحابة من الانكسار والتواضع، فإن رسول الله ﷺ كان يخشى القلة من زعماء القبائل حين يؤمنون، كان يخشى أن يصطحبوا معهم ما كانوا عليه من زهو على أفراد قبيلتهم وكبرياء على ضعفائهم، ومبدأ الإسلام الذي نادى به لأول وهلة: الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى(٣).

لقد بينت السنة النبوية التطبيق الفعلي للمساواة في عدة مواقف منها ما يلي:

- أن يعلو على ظهر الكعبة، ويؤذن في الناس، ﷺلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ "بلالاً "- فصعد بلال على ظهر الكعبة وأذن فساء ذلك بعض سادة قريش فتكلموا، وكان ممن تكلم "عتاب بن أسد" قال: "الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً بغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبي ﷺ، وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣

وزجرهم النبي ﷺ عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء. (٤).

وفي هذا يؤكد النبي صلى الله عليه سلم للناس أنهم جميعًا عند الله سواء لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، فكلهم من أب واحد وأم واحدة، ثم تناسلوا وتكاثروا فصاروا على الأجيال أمما كبيرة، والأمم الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، ليعرف بعض الناس بعضاً، ويأنس بعضهم إلى بعض، فلا تفاخر بالأحساب والأنساب، وكثرة الأموال، وازدراء الفقراء، أو التقليل من شأنهم.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٤/ ١٦)، تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٧)

٢ - تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ٣١٢)

٣ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١/ ٣٠٠)

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(ص٣٩٤)، وينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٤/ ٣٩٩)

والخطاب الذي ورد في الآية فيه نداء للناس جميعا: "يا أيها الناس" يشمل المؤمنين، وغير المؤمنين لأنهم إخوة في الإنسانية، ويرجعون في أصلهم لآدم وآدم من تراب، وتوزيع الناس إلى شعوب وقبائل ليس أمراً ذاتيًا تتغير به حقيقة الإنسانية في الناس، إنهم مهما اختلفوا شعوبًا وأوطانًا فإنهم "إخوة قرابة ونسباً".

ولقد أكد النبي ﷺ هذه الأخوة الإنسانية في خطبة الوداع.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: " خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ". (١)

ومما يؤكد حرص الإسلام على مبدأ المساواة أن "الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً" جعلت غير المسلمين يتمتعوا بحقوقهم وحريتهم في ظل الإسلام، وهذه الحماية والمساواة مصدرها وأساسها الإسلام، فأين الغرب من هذه القيم العظيمة، قال عليه الصلاة والسلام: « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» (٢).

٢- الرفق: إن قيمة الرفق إذا سادت في مجتمع من المجتمعات تماسك وتآلف أفراده، فالرفق يعني الرحمة، والرحمة تبني المحبة، وتوجه سلوك الفرد إلى الرفق واللين وتقوي العلاقات بين الناس.

أخرج مسلم عن عائشة- ﷺ- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: " يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ " (٣).

وقوله ﷺ لعائشة ﷺ: " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " (٤).

وقوله ﷺ: " مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْر ، أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ "(٥). قال النووي: «في هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير ومعنى يعطي على الرفق، أي يثيب عليه مالا يثيب على غيره، وقال القاضي: معناه يتأتى به من الاغراض ويسهل من المطالب مالا يتأتى بغيره» (٦).

وتظهر الأحاديث منزلة الرفق في الإسلام، فالله يحب الرفق ويثيب عليه أكثر من أي شيء آخر، ووصفه المربي الأول-ﷺ- بأنه يزين العمل ويجمله، ويجلب لصاحبه الخير، خلاف العنف الذي يحرم صاحبه الخير، فمن صدر منه عنف، عليه أن يعدل عمله ويزينه بالرفق، كما وجه المربي الأول-ﷺ- أصحابه في الحديث.

أخرج أبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء وخصوصا بالجاهلية والتعظيم بهم وذلك لا يحل، (٤/ ٢٨٩) حديث رقم (٥١٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء وخصوصا بالجاهلية والتعظيم بهم وذلك لا يحل، (٤/ ٢٨٩) حديث رقم (٥١٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٢٢/٨) حديث رقم (٢٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٢٢/٨) حديث رقم (٢٥٩٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٢٢/٨) حديث رقم (٢٥٩٢).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٤٥/١٦).

الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ "(١).

٣- الرحمة : لقد وصف القرآن الكريم رحمة رسول الله-ﷺ- بأنها عامة لجميع الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي. (٢)

والأولى بالعاقل الفطن أن يعي أهمية الرحمة والتراحم بين الناس جميعا مهما اختلفت التعددية الثقافية، وفي ذلك صلاحًا للمجتمعات، فالفطرة البشرية السليمة تتبع المنهج القويم، حتى تحقق التواصل الممتد عبر جسور الحوار المتناغم المحاط بالرحمة بين الناس.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ آل عمران: ١٥٩

إن الرحمة تربط أواصر أفراد المجتمع، وتؤلف بينهم، فالتراحم يجلب المودة والتعاون والمحبة، أما القسوة والغلظة فتسبب التناحر والصراعات في المجتمعات متعددة الثقافات.

٣- التسامح: إن المجتمعات المعاصرة بحاجة ماسة إلى قيمة التسامح في حواراتهم الثقافية، فالتسامح في العلاقات الإنسانية واستخدام الحكمة يزيد من الأمن والسلام العالمي، والتسامح من أهم القضايا التي أهتم بها الإسلام اهتمامًا بالغًا، وحظيت بمساحة كبيرة في الشرع الإسلامي، وقد ورد في القرآن الكريم خلق التسامح والتعامل بالحسنى مع الناس، فالإسلام دين السلام العالمي ولم يكتف بالتسامح بل دعا إلى المبادرة الايجابية أيضًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾فصلت: ٣٤

هذا هو المجتمع الفاضل الذي ينشده الإسلام، مجتمع ود، ومروءة، وخير، وفضل، وإحسان، مجتمع الأمن والأمان، مجتمع متماسك البنيان متوحد الصفوف.

والإسلام يريد أن تسري هذه القيمة في الحوار الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين، رغم اختلاف الأشكال والألوان واللغات والديانات.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، (٨/٣) حديث رقم (٢٦٧٥) والحديث صحيح.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٥١).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ العنكبوت: ٤٦

ومن نماذج قيم الحوار في التسامح: أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ودخلها نهاراً بعد أن خرج منها ليلاً، وحطم الأصنام بيده، وقف أهل مكة يرقبون أمامه العقاب الذي سينزله بهم رسول الله -ﷺ- جزاء ما قدموه له من إيذاء لا يحتمله إلا أهل العزائم القوية، إلا أنه قال لهم: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ " (١) فعفا عنهم وسامحهم وهو قادر عليهم، فكانت نتيجة التسامح اطمئنان وأمن وسلام لأهل مكة، ودخول الكثير في الإسلام، فما أجمل العفو عند المقدرة.

لقد كان -ﷺ -يعفو عمن ظلمه، ولا ينتقم ممن أذاه مع القدرة عليه، فما انتقم لنفسه ﷺ ممن آذاه، وما ضرب بيده الكريمة امرأة ولا خادما قط، وما آذى إلا لله، وإلا ما انتهكت حرمات الله تعالى.

الحق أن الإسلام نشر بشريعته الحكيمة السمحة، وما دخل الناس في دين الله أفواجا إلا عن اقتناع وحب لتعاليمه، ويكفيه مثلا في العفو عن المسيئين، والتسامح مع المحاربين ما حصل منه يوم فتح مكة، وقوله لمن آذى وقاتل، وقتل من المسلمين من قتل، أن قال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء(٢).

إن الإسلام دين اللين، لا دين القسوة، دين السلام لا دين الحرب.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾ الأنفال: ٦١

الإسلام دين حرية العقيدة، لا دين القهر والإرهاب، دين الرحمة بالضعفاء لا يقتل صبيا ولا امرأة ولا شيخا عجوزا من الأعداء.

فالعفو والتسامح، والصفح عن المسيء، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، له فضل ويؤجر فاعله.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢ ﴾ النور: ٢٢

والتسامح من شأنه ترسيخ دعائم الأمن والأمان في المجتمع. وإن غياب التسامح تزداد الصراعات، ويُفقد الحوار الحضاري هدفه وفعاليته بين الجماعات المتناحرة.

---

(١) أخرج البيهقي في السنن الكبرى في كتاب جماع أبواب السير، باب فتح مكة حرسها الله تعالى(٩/ ٢٠٠)ح١٨٢٧٦ فقال: أَخْبَرَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْمُؤَمَّلِ، أنبأ أَبُو سَعِيدٍ الرَّازِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ، أنبأ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، فَذَكَرَهُ. وَفِيمَا حَكَى الشَّافِعِيُّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ: " مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ " قَالُوا: خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ". قَالَ الشَّيْخُ: وَإِنَّمَا أَطْلَقَهُمْ بِالْأَمَانِ الْأَوَّلِ الَّذِي عَقَدَهُ عَلَى شَرْطِ قَبُولِهِمْ ، فَلَمَّا قَبِلُوهُ قَالَ: " أَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ". يَعْنِي بِالْأَمَانِ الْأَوَّلِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٢).

٢ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٧/ ٣٨٥)، (٩/ ١٧٤)

أخرج الشيخان عن عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "(١).

وعليه فإن الدين الإسلامي دين العقلانية والموضوعية، والالتزام، ودين الحرية الفكرية والدينية؛ ولذا كان معظم الذين دخلوا في الإسلام بسبب تطبيق مبدأ التسامح، والكلمة الطيبة اللينة، والإقناع وإعمال الفكر أضعافًا مضاعفة من الناس.

فقيمة التسامح والمساواة والرحمة إذا اشتمل عليها الحوار الحضاري، تتقارب النفوس، ويعم الأمن والسلام، وثمرات التسامح، وأهمية الرحمة تعود بالخير للإنسانية.

المطلب الثاني: بناء الجانب الأخلاقي للإنسان:

إن البناء الأخلاقي للإنسان يندرج تحته قيم أخلاقية كثيرة من أهمها ما يلي:

١- الصدق: هو إظهار الحق ومطابقته للواقع، وهذا الأمر الجلل يكسب الثقة بين الأفراد، وخاصة عندما يعلم المتحاور أن الآخر صادق معه في وعوده وأفعاله، فالنفس تطمئن، والثقة تستمر، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تضمنت توجيه رباني للمؤمنين بأن يكونوا صادقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩

وصفة الصدق ملازمة للنبي ﷺ، وكان قومه ينادونه بالصادق الأمين قبل البعثة.

أخرج الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] ، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢](٢).

وكان سبب دخول عبدالله بن سلام للإسلام نظرته لوجه النبي-ﷺ- الذي أدرك أن وجهه ليس بوجه كذاب.

أخرج الترمذي والحاكم وصححاه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ(٣)، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله(٨/ ١٢)ح٦٠٢٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليه (٤/ ١٧٠٦)ح(٢١٦٥)

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} [الشعراء: ٢١٥] أَلِنْ جَانِبَكَ (٦/ ١١١)ح٤٧٧٠

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤](١/ ١٩٣)ح(٢٠٨)

٣ - «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه»: أي ذهبوا مسرعين نحوه. النهاية في غريب الحديث والأثر(١/ ٢٧٩)

لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»([1]).

وفي رواية أحمد "انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ"([2]).

أراد أن يقول: أن بمجرد رؤيتي لوجه رسول الله -ﷺ- آمنت به لأن وجهه ليس بوجه كذاب ، وذلك لمجرد قراءته لوجه الرسول-ﷺ-.

إن المسلم الذي يداوم على فضيلة الصدق تكون سجية له يتميز بها في الدنيا بين الخلائق، ويتميز بها يوم القيامة عند الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

روى الشيخان بسنديهما من حديث ابن مسعود-ﷺ- أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»([3]).

إن من أصول الحوار وأساسياته ما يلي:

- أن يكون المتحاورون صادقين في أقوالهم وسلوكهم.

- عدم كتم شيء من الحق، أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع النقاش أو الحوار، أما عدم المصداقية في التحاور والشفافية في التعاملات والاتفاقيات والوعود بين الجماعات والمجتمعات، مهما احتجبت، إلا وتأتي عليها حقبة من الزمن تتضح فيه الرؤيا، وينكشف الغطاء، وتكون النتيجة فوضى وتنازع وصراع، وفقدان الثقة في الطرف الآخر، وتزيد الصراعات والمشكلات.

والإسلام كما رغب بالوضوح والصدق في الحوار والتعامل، وأقفل تماما باب الكذب وضع عقاب للمخادعين والمراوغين، وجعل عقوبة عظيمة لهم، ليبتعد الناس عن هذا الطريق الهالك المدمر للنفس والآخرين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٨

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾الأحزاب: ٢٤

أخرج الشيخان عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا "([4]).

---

١ - أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض(٤/ ٦٥٢)ح٢٤٨٥ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الهجرة (٣/ ١٤)ح٤٢٨٣ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " وو افقه الذهبي.

٢ - أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠١)ح٢٣٧٨٤ وصححه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، (٢٥/٨) حديث رقم (٦٠٩٤). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (٢٩/٨) حديث رقم (٢٦٠٧).

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ إِذَا بَيَّنَ البَيِّعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا وَنَصَحَا(٣/ ٥٨)ح٢٠٧٩

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، باب الصدق في البيع والبيان(٣/ ١١٦٤)ح(١٥٣٢)

وهذا فيه ترغيب على قول الصدق مهما كانت نتائجه، والتحذير من الكذب مهما كانت عواقبه، حتى لو فكر الإنسان بنتائج ايجابية إلا إن عاقبته تكون سلبية، فالذين تراودهم أنفسهم الأمارة بالسوء بإخفاء الحقائق، وتجميل القبيح بالأقوال والسلوك فذلك هو النفاق، وجميع أنواعه ومجالاته مدمرة وغير مثمرة، وإن كان يرى أصحابها غير ذلك، فالباطل يجني باطل؛ لذا ينبغي مد جسور التواصل بالحوار الهادف الصادق والاستعانة بالله في كل الأحوال.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء: ٨٠

فالصدق مطلب حياتي والزامي؛ لتسير به عجلة الحياة وتستقيم، فخير البشرية هم الرسل عليهم السلام كانوا يدعون الله أن يرزقهم الصدق في أقوالهم وأفعالهم؛ لأنهم يحتاجون إلى الحوار مع أقوامهم، وذكر سيرتهم الحسنة بعد مماتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾الشعراء: ٨٤

فالصدق منجاة من السقوط في زلات اللسان، وهفوات النسيان، وله تأثير قوي على نفوس الناس، ومكانته عظيمة، وثمراته جسيمة دنيوية وأخروية.

فالصدق يرفع منزلة صاحبه في الآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ المائدة: ١١٩

فقيمة الصدق تجعل الإنسان مطمئن النفس، لا يخشى ولا يخاف أن يُفضح أمره في يوما ما، وكل أسلوب يكون الصدق أساسه يكون نجاحه مأمول، وخاصة الحوار مع الآخر بصدق يؤلف بين القلوب، ويقرب المسافات، ويحقق الأهداف، هذا في الدنيا، أما في الأخرة فإن للمسلمين الثواب والفوز العظيم من عند الله.

أخرج أحمد، والحاكم وابن حبان وصححاه عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-ﷺ- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ "(١)

٢- العدل: العدل ضد الجور وهو الاعتدال والاستقامة، بين الناس عامة، وعدم التحيز لفئة معينة لأغراض شخصية على حساب الدين أو العرق أو النسب أو النفس، ويظهر العدل في المواقف، والمعاملات، وهو قيمة أساسية لنشر التعايش السلمي.

---

١ - أخرجه أحمد في مسنده(٣٧/ ٤١٧)ح٢٢٧٥٧ ، وابن حبان في صحيحه في كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١/ ٥٠٦)ح٢٧١ ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٩)ح٨٠٦٦ ، وقال عقبه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَشَاهِدُهُ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَنَسٍ ، وقال الذهبي: فيه إرسال.
قَالَ المنذري: الْمطلب لم يسمع من عبَادَة وَالله أعلم، وقال الهيثمي: رِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ الْمُطَّلِبَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُبَادَةَ، وقال المناوي في الفيض: قال الذهبي في اختصاره للبيهقي: إسناده صالح، وقال العلائي في أماليه: سنده جيد وله طرق هذه أمثلها وفي كلامهما إشارة إلى أنه لم يرتق عن درجة الحسن. الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٢٤)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٢١٨)، فيض القدير(١/ ٥٣٦)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ النساء: ٥٨

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾ النساء: ١٣٥

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾المائدة: ٨

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ الممتحنة: ٨

فالآية واضحة تمامًا فى تحديد كيفية العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، بل وترتقي إلى أمر أعظم من العدل، الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه، ووصلت إلى مرحلة الإحسان، وهو الزيادة على الحق وقد قدمت الآية لفظ البر الذي يعنى فعل الخير، ثم ذكر القسط الذي يعنى العدل، وهذه إشارة رائعة من الآية الكريمة إلى كيفية معاملة غير المسلمين فى حالة السلم، كونها علاقة قائمة على البر والإحسان وهو أمر فوق العدل، وفوق إعطاء الحقوق.

والعدل هو ميزان الله الذي ارتضاه لعباده، وهو إحدى القواعد الأساسية لأنه نظام مصلح لكل شيء، فإذا أقيم أمر بعدل، فسوف تحفظ الحقوق، وتتحقق العدالة في التعامل، ويتم التعايش السلمي.

وفي الإسلام نماذج واضحة وخالدة، يشهد عليها المنصفين في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس.

ومن أمثلة العدل في الحكم مع الآخر: ما جاء عن أنس ﷺ: " أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ(١) فَقِيلَ لَهَا : مَنْ فَعَلَ بِكِ أَفُلَانٌ أَوْ فُلَانٌ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا فَجِيءَ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَفَ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُضَّ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ "(٢).

والعدل مطلوب في كل الأحوال حتى مع النفس والأهل.

فموقف حوار الصحابة للشفاعة عند الرسول -ﷺ- للمخزومية التي سرقت، هو موقف يظهر عدل الإسلام في صورة جلية واضحة، ولا يمكن لأي فرد أن ينكره، فقد قام رسول الله ﷺ " فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ،

---

١ - «إن يهوديًا رض رأس جارية بين حجرين» الرض: الدق الجريش. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا أومأ المريض برأسه إشارة بينة (٤/٤) حديث رقم (٢٧٤٦).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات والمثقلات وقتل الرجل بالمرأة، (٥/١٠٤) حديث رقم (١٦٧٢).

وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا" (١).

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها، فهذا التطبيق الفعلي يُبرز قيمة العدل في الحوار وموقف الإسلام الذي يكشف الحقائق ويوضحها ويعالجها.

ولا يقف عدل الإسلام عند هذا الحد بل تجاوز لمرتبة أعلى، عندما يكون الحوار خاص بذات الشخص، ويكون هو الحاكم بين نفسه والآخر.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: " كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ دَيْنٌ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَقَالَ: اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ سِنًّا إِلَّا سِنًّا هِيَ أَفْضَلُ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: فَاشْتَرُوهَا، فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً "(٢).

إن هذا الحديث يوضح قيمة العدل في الحوار، والوصول إلى إرجاع الحق بأفضل منه، فالعدل مطلوب في كل المواقف ويبدأ بالنفس، فالإنسان إذا كان منصفًا عادلاً مع نفسه، يكون كذلك مع الآخر، ومن العدل الإحسان إلى من أحسن إليك.

٣- التمسك بالأخلاق والقيم النبيلة: لقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان المسلم أن يتخلق بخلق حسن مع المسلم وغير المسلم.

أخرج الترمذي بسنده أن النبي-ﷺ- قال: " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ "(٣).

٤- منع التسول والعمل على تحقيق الذات وتحمل المسئولية: الإنسان هو الساعي في الأرض، والضارب في مناكبها باحثا عن رزقه، وقوته، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ "(٤).

٥- الأخذ بالحيطة والحذر في كل ما يحيط به: الإنسان المسلم الحق هو: الكيس، الفطن، الذكي، والمتحري الحذر المنتبه.

أخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ "(٥).

٦- التعاون والتراحم والمحبة وعدم الظلم: المسلمون كلهم متعاونون، ومتراحمون، لا يحبون الظلم، ويفرجون كرب بعضهم بعضا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، (١٦٠/٨) حديث رقم (٦٧٨٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عَنْ الشفاعة فِي الحدود، (١١٤/٥) حديث رقم (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، (١٦١/٣) حديث رقم (٢٦٠٦). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع ، باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء، (٥٤/٥) حديث رقم (١٦٠١).

٣ - أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، (٥٢٦/٣) حديث رقم (١٩٨٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (١٢٣/٢) حديث رقم (١٤٧١).

٥ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٣١/٨) حديث رقم (٦١٣٣). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٢٢٧/٨) حديث رقم (٢٩٩٨).

أخرج البخاري مرفوعًا: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "([1]).

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ "([2]).

٧- حق الجوار: جار المسلم حقوقه محفوظة ومصونة، ومحترمة محارمه بغض النظر عن عقيدته.

أخرج البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: " وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ . قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ "([3]) .

٨- فهم رأي الآخر واحترامه: إن فهم الآخر واحترام رأيه من أساسيات قيم الحوار في الإسلام؛ إذ يحتاج إلى قواعد يرتكز عليها لتوجيه دفة الحوار الحضاري إلى مساره الصحيح، ومن هذه الأسس والقواعد ما يأتي:

- تحديد لغة واضحة ومفهومة للتحاور بين الطرفين.
- التجرد من حب الذات والانا.

فهذه إن تمكنت في الشخص فإنه يغلب عليه فهم الصواب، أما إذا تمسك برأيه ويرى ما عداه لا شيء، ويريد تحقيق المكاسب المادية والرفعة، سواء كان ذلك سلطة أو مالاً أو جاه، ويتصف بالتعصب الأعمى بدون مبررات وبراهين صحيحة، فهذا من أخطر أسباب الافتراق، لأنه لا يفرق بين الحق والباطل، وكذلك الاستعلاء والتكبر على الطرف الآخر.

ومن أمثلة الحوارات في هذا:

- تكبر إبليس وإعراضه عن ما أمره الله به، وآيات حوار الخالق بهذا الشأن فيه دروس بليغة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (١٢٨/٣) حديث رقم (٢٤٤٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم، (١٨/٨) حديث رقم (٢٥٨٠).

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١٢/١) حديث رقم (١٣). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، (٤٩/١) حديث رقم (٤٥).

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه يوبقهن يهلكهن موبقا مهلكا، (١٠/٨) حديث رقم (٦٠١٦).

مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

الحجر: ٣٠ - ٤٤

يوضح القرآن الكريم تحاور الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء مع إبليس الذي أعلن تنمره وعصيانه على الله، وهو خالقه، وفي هذا الحوار عبر ودروس، فالله قادر على كل شيء، ولكن استمر الحوار حتى انتهى الى حكمة أرادها الله.

والقرآن الكريم يتضمن العديد من أنواع القيم الحوارية التي تحترم رأي الآخر، فهو منهج للحياة، والسبيل القويم لمقاومة التحديات المعاصرة، ففيه الكثير من التطبيقات القيمية والحوارية والتربوية المختلفة، سواء كانت حوار الله مع الملائكة، أو مع الأنبياء مثل موسى عليه السلام، أو أمر من الله لأنبيائه بالحوار؛ لإقناع شعوبهم بأفضل الأساليب من غير تعنت أو قوة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

واختلاف الرأي في الحوار حدث حتى بين الصحابة في المسائل الفقهية، وبين أئمة المذاهب، ولكن يتم بموضوعية وسعة صد، فإما أن يخضع للرأي الآخر، ويتنازل عن رأيه حينما تتضح له الحجة والصواب، وإما أن يتمسك برأيه مع تقديره لمخالفه واحترامه لرأيه .

والحوار مع الآخر يدخل في كل المجالات، وكل مجتمع له رأيه المستقل وليس بالضرورة أن يتبع الآخر، ولكن الحتمية تتوجب عليه أن يفهم الآخر، ويتقبل رأيه، ويكون ذلك بالتحاور، فقيمة الحوار لا تقلل من شأن الطرف القوي، ولا ترفع الطرف الآخر؛ إنما التحاور لاستيضاح الأمور بين الطرفين، وليس المهم بالضرورة اقتناع الآخر، فقد يفترقا المتحاورين بتمسك كل منهم برأيه، ويفهم كل طرف رأي الآخر، والافصاح عما يترتب عليه الرفض أو المنع أو القبول، وفي ذلك يتوصل الأطراف المتحاورة إلى اتخاذ القرار المناسب لها.

المطلب الثالث: بناء الجانب السياسي للإنسان:

" فلا شك أنّ العهد النبويّ- على صاحبه الصلاة والسلام- كان عهدا ذا نتائج هامة في تاريخ العالم السياسي والديني والاقتصادي وغير ذلك. ولما كان غير ممكن أن نفهم الحالة السياسية في عصر من العصور إلا بمراجعة الوثائق الرسمية التي تتعلق بذلك العصر- وهي من أجلّ المآخذ للحائق التاريخية- كان من الضروري أن نجمع الوثائق المتعلقة بالعصر النبوي حتى يتسنى لنا أن نفهمه فهما صحيحا.

لا يخفى أن قريش مكة لم يكن لهم قبل الإسلام تجربة واسعة لسياسة المدن، ولم يتفق لهم أن يجتمعوا تحت لواء حكومة ذات تمدّن وثقافة بحيث يرجى أن تكون لهم نظم سياسية مكتوبة.

لقد كتب النبي ﷺ جميع المحالفات والمعاهدات مع القبائل والملوك سوى ما كتب إليهم من المراسلات. ويقال إن أمير المؤمنين عمر ﷺ كانت عنده نسخ العهود والمواثيق ملء صندوق، ولكنها احترقت حين احترق الديوان يوم الجماجم سنة ٨٢ للهجرة. والذي بقي بعد ذلك قضت عليه صروف الزمن وغارة التتار.

والواقع أنه لم يصل إلينا إلا أصل اثنتين أو ثلاث من تلك الوثائق، أولها كتاب النبي إلى المقوقس (راجع رقم ٤٩) الذي وجده المستشرق الفرنسي بارتيلمي في كنيسة قرب أخميم في مصر، والثاني كتاب النبي إلى المنذر بن ساوى (رقم ٥٧) الذي كان المستشرق الألماني فلا يشر نشر صورته، والثالث كتاب النبي إلى النجاشي (رقم ٢١) الذي ينوي المستشرق دنلوب الإنكليزي نشره. وقد بحثنا عن صحة الأصلين الأولين في مقالة في «مجلة عثمانية» الهندوستانية في شهر يونيو سنة ١٩٣٦ وفي أخرى في مجلة «إسلامك كلجر» الإنكليزية (حيدر آباد في شهر أكتوبر سنة ١٩٣٩) ، ونحن نكتفي هنا بإرجاع القارىء إلى الصور الشمسية التي ألحقناها مجموعتنا هذه.

وإذا كانت أصول أكثر الوثائق قد ضاعت فقد حفظ لنا رواة الحديث والمؤرخون جملة صالحة منها.

وكانت هجرة مسلمي مكة وقيام دولة إسلامية بالمدينة سببا لتوتر العلائق بين المسلمين وقريش، فنشأت حروب بينهم ووقعت وقائع بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة. فجمعنا الوثائق المتعلقة بهذه الأمور في فصل خاصّ"([1]).

إن البناء السياسي للإنسان يتلخص في عدة نقاط من أهمها ما يلي:

١- حفظ الحقوق: إن الإسلام سباقًا إلى الإقرار بحقوق الإنسان، والحث على صونها وحفظها، وإحاطتها بالرعاية، وشمولها بالعناية؛ ووضع منهج متكامل للحياة الإنسانية له قواعد ثابتة، وأصولاً راسخة، ومبادئ خالدة، بل إن الإسلام اعتبر التفريط في حق من حقوق الإنسان تفريطًا في جنب الله، لذا يجب أداؤها على خير وجه، والوفاء بها طاعة لله تعالى.

وأول من نص على حفظ حقوق الإنسانية هو الإسلام .

قَالَ تَعَالَى:﴿ * قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٢

أخرج الشيخان أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ

١ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص: ٢٣) وما بعدها بتصرف يسير.

شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ(١).

إن هذه البيعة كانت أول ميثاق إسلامي، بل أول ميثاق عالمي لحماية حقوق الإنسان في دينه وماله ونفسه وعرضه، فهي ميثاق عظيم لحماية جميع الحقوق الإنسانية(٢).

إن الخطوط العريضة للبيان عن الحقوق الإنسانية كما يلي:

- دار الإسلام واحدة، وهي وطن كل مسلم.
- الناس جميعا سواسية أمام الشريعة.
- ليس لأحد أن يلزم مسلما بأن ينفذ أمرا مخالفا للشريعة.
- الأوضاع الدينية للأقليات يحكمها المبدأ القرآني: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} .
- لا يجوز انتزاع ملكية نشأت عن كسب حلال إلا للمصلحة العامة.
- لا يجبر الفتى، أو الفتاة على الزواج ممن لا يرغب فيها.
- للزوجة أن تطلب الطلاق في حدود الشرع.
- سرائر البشر إلى خالقهم وحده(٣).

إذا حُفظت الحقوق في مجتمع ما، وكان بينهم تحاور بالقيم الإسلامية العالمية، فإنه يسوده الأمن والاستقرار، فلا أمن أذا انتشر القتل وسلبت الأرض، وانتهكت الإنسانية، من غير تفاهم أو تحاور، أو حفظ للحقوق، أو عدم الاعتراف بأصحابها.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ آل عمران: ١٨٠

وأخرج الشيخان بسنديهما أن النبي ﷺ قال: " مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ "(٤).

قوله طوقه: له وجهان:

أحدهما: أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة.

الثاني معناه: أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين، أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقا في عنقه»(٥).

والمتأمل في الحديث يستشعر عظمة إثم أخذ حقوق الآخرين بغير وجه حق، حتى وإن كان قدراً يسيراً؛ فإنه سيكون كالطوق في عنقه بمقدار ما أخذ، والخلاص من هذه العاقبة هو:

- التحاور والتفاهم.

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار(١/ ١٢)ح١٨ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (٣/ ١٣٣٣)ح(١٧٠٩)

٢ - منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ٩٩)

٣ - حقوق الإنسان في الإسلام لجمل الليل (ص: ١٠)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، (١٠٧/٤) حديث رقم (٣١٩٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، (٥٧/٥) حديث رقم (١٦١٠).

(٥) فتح الباري لابن حجر(٥/ ١٠٤).

- واحترام الحقوق والحفاظ عليها، أو استردادها، أو إعادتها.

فالحوار مع الآخر له أسس يبنى عليها بحيث تعرف كل جماعة ما لها وما عليها، وعلى أي أساس كان الحق لها، فإذا تحقق هذا في الحوار فسوف يعم الأمن والاستقرار بين الجماعات في المجتمعات المتباينة؛ لذا فإن الاعتراف بقيم حفظ الحقوق والعمل على ايقاظ الضمير، والاحساس بالمسؤولية تجاه الآخر، يترتب عليه الأمان بين الجماعات، والاستقرار في المجتمعات.

أما ما يترتب عليه سلب الحقوق فهو: إشعال فتيل المعارك الطاحنة التي تعود بالدمار للطرفين والخسائر النفسية والبشرية والمادية، وهذا نتيجة الطمع المادي والاقتصادي والسياسي؛ لذلك تولى الإسلام وضع سياسة خالدة وقيم عالمية يسير عليها الإنسان ويحدد حقوقه وواجباته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ النساء: ٢٩

والعمل بموجب ذلك فيه إصلاح للنفس والسلوك، وتوجيه الفرد نحو الحلال، وعدم التعدي على حقوق الآخرين، فلا تطغى شهواته ومطامعه على عقله وواجباته.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: " كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ دَيْنٌ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَقَالَ: اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا(١) فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ سِنًّا إِلَّا سِنًّا هِيَ أَفْضَلُ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: فَاشْتَرُوهَا، فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً "(٢).

إن من تعاليم الإسلام مقابلة الإحسان بالشكر والعرفان، ومقابلة الإساءة بالصفح والتجاوز،

وهذا من آداب الإسلام والتي من أهمها: أن يوفى المدين دينه فور التمكن من الأداء، وأن يحسن إلى الدائن عند الوفاء، بالزيادة أو بالكلمة الطيبة، والشكر على ما قدم من معروف، وأن يتحمل المدين مطالبة الدائن، وإن شدد، فهو صاحب حق، مادام يطالب في حدود الآداب، وإن ألح.

بهذه الآداب يتم التعاون بين المسلمين، ويصبح مثل المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ولا يخشى القادر إقراض المحتاج، ويجد المحتاج من يساعده عند الشدائد. وكان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في تطبيق هذه الآداب. وكيف لا وقد كان خلقه القرآن ﷺ.

كان ﷺ يمر على بيوته الشهر والشهران ثلاثة أهله في شهرين، لا يوقد في بيته نار، لعدم وجود ما يطهى بالنار، فلم يكن يستقرض لنفسه شاة ولا بعيرًا، ولكنه كان يقترض للفقراء حين لا يكون في بيت المال ما يحتاجون، فإذا جاءت إبل الصدقة، سدد ما اقترض، بما هو مثله، أو بأحسن مما اقترض، وكان يتحمل شدة صاحب الحق، ويقول: إن لصاحب الحق مقالاً، وكان

---

١ - (اشتروا له سنًّا): أي إبلًا ذا سن وعمر. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٧/ ٣٧٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، (١٦١/٣) حديث رقم (٢٦٠٦). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع ، باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء، (٥٤/٥) حديث رقم (١٦٠١).

يدعو إلى إكرام المقرض، والإحسان عند أداء الحقوق، ويقول "خيركم أحسنكم قضاء" بهذا يقول الدائن للمدين "أوفيتني أوفي الله بك وأوفاك"([1]).

فقيمة حفظ الحقوق تتضح جلية في الحوار الذي وضح موقف المدين عندما يريد أن يستردّ الدائن حقوقه، وهذا من أجل المحافظة على الحقوق، ويُشكّل هذا المواقف دروسًا هادفة لتطبيقها في المجتمعات في تعاملاتهم.

والإسلام يوضح الحقوق الخاصة والعامة، ومن أمثلة حفظ الحقوق العامة: أموال الدولة كما ورد في السنة النبوية المطهرة.

أخرج الشيخان عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ-رضي الله عنه- قَالَ: «اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللتبيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ، فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ: إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ([2])، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ([3])، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ([4])، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ([5]): أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا "(٦).

إن هذا الحديث يدل أن ما أهدى إلى العامل فى عمالته والأمير فى إمارته شكرا لمعروف صنعه أو تحببا إليه أنه فى ذلك كله كأحد المسلمين، لا فضل له عليهم فيه؛ لأنه بولايته عليهم نال ذلك، فإن استأثر به فهو سحت، والسحت كل ما يأخذه العامل والحاكم على إبطال حق أو تحقيق باطل وكذلك ما يأخذه على القضاء بالحق([7]).

إن الهدية التي أُخذت عن طريق الإمارة والولاية تُجْعَلَ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْمُرْ ابن اللُّتْبِيَّةِ بِرَدِّ الْهَدِيَّةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ لَهُ لِمَنْ اهداها، ... وَفِيهِ: إِبْطَالُ كُلِّ طَرِيقٍ يَتَوَصَّلُ بِهَا مَنْ يَأْخُذُ الْمَالَ إِلَى مُحَابَاةِ الْمَأْخُوذ مِنْهُ والانفراد بالمأخوذ، وَقَالَ ابن الْمُنِيرِ: يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ هَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ جَوَازُ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِمَّنْ كَانَ يُهَادِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ، كَذَا قَالَ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى الْعَادَةِ([8]).

قال أ. د/ موسى شاهين لاشين: "عمال الخليفة وأمراؤه وقادته وكل من يوليه ولاية كبرت أو صغرت هم العمد والأسس التي تقوم عليها الدولة، بهم تثبت أركان العدالة من الرفق والتراحم والترابط والأمانة والقوة إن هم كانوا على الطريق الحق المستقيم، ونقيض ذلك إذا كانوا على النقيض.

---

١ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٤٤)

٢ - رغاء: الرغاء: بضم الراء والعجمة ومد: صوت الإبل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٤٠)، التوشيح شرح الجامع الصحيح (٣/ ١١٤٧).

٣ - خوار: الخوار: صوت البقر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٧)

٤ - تيعر: أي: تصيح؛ ليعلم أهل العرصات؛ ليكون أشهر في فضيحته. شرح المصابيح لابن الملك (٢/ ٤٠٦)

٥ - عفرتي إبطيه: العفرة: بضم العين وفتحها والفاء ساكنة وبفتحهما والعفرة هي البياض الذي فيه شيء كلون الأرض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٦١)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١١/ ١٣٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، (٧٠/٩) حديث رقم (٧١٧٤). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال ، (١١/٦) حديث رقم (١٨٣٢).

٧ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٣٣٣)

٨ - فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٦٧)

وكان رسول الله ﷺ يختار أعوانه ومن يوليه عملا من الأعمال العامة، لكن المسلمين كانوا يتكاثرون، وفيهم من يجهل حاله ممن بعدت دياره، فكان يوصيهم قبل أن يبعثهم، ويحاسبهم عن أعمالهم عند عودتهم.

وكان يحمي عماله من الشبهات، ويحرص على أن يعودهم الابتعاد عنها فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فهم يعلمون علما لا ريب فيه تحريم الرشوة، وهم يبتعدون عنها، لكنهم قد يخفى عليهم أن من الهدايا ما له حكم الرشوة، وهدف الرشوة، فيحسنون الظن بأنفسهم ويقبلونها على أساس أنهم لن يتأثروا بها في إحقاق الحق وإبطال الباطل، لكن سد منافذ الحرام هدف من مقاصد الشريعة.

هذا الصحابي ابن اللتبية يبعثه ﷺ إلى قومه بني سليم، ليجمع منهم الزكاة، ويعود بها إلى بيت المال، فيرجع معه كثير من الإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والأموال، فيرسل إليه ﷺ من يحاسبه، ويتسلم منه ما جاء به، ليوصله إلى رسول الله ﷺ ليقوم بتصريفه في مصارف الزكاة.

إن رسل رسول الله ﷺ يعلمون أن ابن اللتبية لم يكن قبل سفره يملك ناقة أو جملا أو شاة، فجميع ما في بيته جاء به من هناك، وما تاجر، وما تكسب، تصوروا أن ابن اللتبية سيسلمهم كل ما في الدار، فإذا به يوزع ما يرون، يقول: هذا البعير لكم، وهذا لي، وهذه الشياة لكم وهذه لي، وهذه الحبوب لكم، وهذه لي، فقالوا له: من أين لك هذا؟ وأنت لم تكن تملكه؟ ولم تتكسبه في سفرك، فقال لهم: هذه هدايا أهديت إلي، فجاؤوا به إلى النبي ﷺ وذكروا له ما سمعوا، واستعادوا من ابن اللتبية ما قال، فأعاد، فقال له ﷺ: هلا جلست في بيت أبيك وأمك لترى أيهدى إليك أم لا؟ إن هذه الهدايا من أجل ولايتك التي وليناك، فهي حق للمسلمين لا لك، وقام ﷺ على المنبر يخطب في الناس يقول: لا يليق بالعامل الذي نبعثه أن يرجع فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فإنه لو جلس في بيت أبيه وأمه لم يكن ليهدى إليه ما أهدي إليه وهو عاملنا، إنه بذلك يمتلك ما هو محرم عليه، وسيجيء يوم القيامة حاملا على عنقه ما يدعي أنه هدية، سواء كانت ناقة أو بقرة أو شاة.

احذروا معشر العمال الذين أوليهم ما يوليني الله أن تكتموا عني خيطا فما فوقه، من استعملناه على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أعطيناه بطيب نفس بورك له فيه، وما لم نعطه لا يأخذه، فهو قطعة من النار، وبهذا أصبحت الولاية مسئولية ثقيلة خطيرة، يترفع عنها من يحرص على النجاة"([1]).

وفي الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم: وكان النبي ﷺ يستوفي الحساب على عمله، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي، ثم ذكر قصة ابن اللتبية سالفة الذكر([2]).

وفي الاكتفاء للكلاعي: وكان عمر-رضي الله عنه- ملازما للحج فى سنى خلافته كلها، وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته كل سنة فى موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية، ويحجر عليهم الظلم، ويتعرف أحوالهم فى قرب، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه شكاويهم فيه. فلما كانت السنة التى قتل منسلخها، ﷺ، خرج إلى الحج على عادته، وأذن لأزواج النبى صلى الله

١ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٧/ ٤٤٢)

٢ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص ٢٢٧ ، التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية (١/ ٢٠٧).

عليه وسلم فخرجن معه، فلما وقف عمر-ﷺ- يرمى الجمرة أتاه حجر فوقع على صلعته فأدماه(١).

والإسلام اهتم بحق المال: تولى الإسلام وضع سياسة خالدة للمال يسير عليها الإنسان ويحدد حقوقه وواجباته، وحذر من أخذ الأموال بغير وجه حق. هذا الأمر الذي شاع في الواقع المعاش، وتفشى بخطوط سميكة واضحة، والأكثر من ذلك أنه كثيرًا ما يطلب علنيًا من أجل تسهيل وتيسير الأعمال، وهذا أشدّ فتكًا بالمجتمع؛ لأنه يقوم على أخذ حقوق وإعطائها للآخرين مقابل عروض مادية، أو قضاء مصلحة، بحكم المركز والمجال العملي، وهذه خيانة عملية لا يرتضيها الإسلام.

قال محمد بن عز الدين المشهور بـ ابن مالك « قيل: الرشوة ما يُعْطِي لإبطال حق أو لإحقاق باطل، فأما إذا أَعْطَى ليتوصَّل به إلى حق، أو ليدفع عن نفسه ظلمًا، فلا بأس به، وكذا إذا أخذ ليسعى في إصابة صاحب الحق فلا بأس به، لكن هذا ينبغي أن يكون في غير القضاة والولاة؛ لأن السعي في إصابة الحق إلى مستحِقِّه ودفعِ الظلم عن المظلوم واجبٌ عليهم فلا يجوز لهم الأخذ عليه». (٢)

ومن الحقوق الإنسان حق صيانة النفس: فلا يحق لذا مكانة أو سلطان أن يسلب الإنسان حقه في الحياة، ومن فعل ذلك بغير حق تجاوز حدوده الإنسانية، ويكون عقابه من جنس عمله؛ وعلاج ذلك حد القصاص في القتلى للحفاظ على حقه في الحياة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ البقرة: ١٧٩

وقال عبد الله بن عمر ﷺ: " إِنَّ مِنْ وَرْطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ "(٣).

وقال ابن حجر: «وقد ثبت عن ابن عمر- ﷺ- أنه قال لمن قتل عامدا بغير حق: تزود من الماء البارد فإنك لا تدخل الجنة»(٤).

هذه تعاليم الإسلام التي أساسها ودعائمها النبي ﷺ، وجعل سفك الدم الحرام ورطة من الورطات: أي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها؛ لأنه أوقع نفسه في الهلاك.

وأما الحروب التي قام بها النبي ﷺ، فهي لنشر الحق والسلام، ومن أجل سعادة الإنسان. أما شعوب الحضارة الغربية تنادي بالسلام، وكأنه من صنعهم وتخطيطهم، ولا تملك إلا أن تنادي بشعارات زائفة، تخالف القيم الإسلامية التي بدأت بتربية الذات، وحرصت على سلامة الإنسان ذاته من اتباع الهوى، فالإسلام منهج موحد للجميع، فمن حاد عن الصواب وجانب الحق فقد ضل سواء السبيل، واختلت موازين الحياة لديه، إما لجهل أو لضلال، وسار ضد التيار.

وبناءٍ على ذلك ينبغي المناداة بقيم الحوار الإسلامية وبيان عالميتها، فلا تسلب الحقوق ولا تضيع، ويتحقق المطلب الأساسي لكل مجتمع وهو الأمن والاستقرار، فالنظام الإسلامي منهج حياة فريد ومتكامل يهيئ الجو الصحيح للمعاملات المتبادلة بين أفراد المجتمع، وأول حضارة

---

١ - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء (٢/ ٦٠٢)

(٢) شرح المصابيح لابن الملك (٤/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، (٢/٩) حديث رقم (٦٨٦٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر(١٢/ ١٨٩).

رائدة وضعت خططاً مستقبلية تتوافق مع الفطرة السليمة هي الحضارة الإسلامية؛ لأنها تحافظ على الحقوق وتعالج كل ما يهم الإنسان، وبدأت ببنائه من الداخل حتى ينعكس ذلك على سلوكه الخارجي.

٢- التعايش مع التشريعات الأخرى واحترامها: أقتضى أمر الله أن تكون البشرية متعددة الأديان والتشريعات فمنهم المسلم والكافر والمشرك، ويعيش الجميع على بقعة أرض واحدة، وهنا يظهر التساوي في أصل الخلق، والعيش على الأرض، والتباين يكون في سلوك الجماعات وأيدولوجياتهم، وتقبلهم للآخر، وطريقة معيشتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ هود: ١١٨ - ١١٩

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ التغابن: ٢

وهذا الاختلاف يحتاج إلى نظام يضمن لهم التعايش، وعلى هذا يكون السلم هو الأصل في العلاقات بين الناس، وأما الحروب بين البشر فقد حدثت حتى مع المسلمين لأسباب بينهم ولنصرة الحق، وحذر النبي ﷺ من هذه الحروب والقتل، ووضع نظام محكم لذلك

أخرج مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ "(١).

يعد المجتمع المسلم مجتمع ألفة ومودة ومحبة، وينتج عنها اختفاء الكثير من أمراض القلوب كالحسد والبغضاء، وقد نهى عنها النبي ﷺ، والنهي ضمن الواجبات التي يجب فعلها والتحلي بها، فالمقصود بقوله ﷺ: " وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " تعاملوا وتعاشروا بمودة ورفق وملاطفة، وتعاونوا على الخير، مع صفاء القلوب والنصيحة، والابتعاد عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض.

قال القرطبي: «كونوا كإخوان النسب في الشفقة، والرحمة، والمودة، والمواساة، والمعاونة، والنصيحة»(٢).

٣- الوفاء بالعهود والمواثيق: إن الوفاء بالعهود والمواثيق يوفر الاستقرار، ويجعل الإنسان يشعر بالأمان، والوفاء بالعهود والمواثيق أمر حتمي حتى في حالة الحرب.

ففي غزوة بدر قابل المشركون حذيفة وأبيه فقالوا لهما: ماذا تريدون، فقالا: نريد المدينة، وهم في الحقيقة يريدون بدرًا لحضور الغزوة مع رسول الله -ﷺ-، فأخذ المشركون منهم العهود والمواثيق بالانصراف للمدينة وعدم حضور بدر مع الرسول-ﷺ-، فأخبر حذيفة-رضي الله عنه- ذلك للرسول-ﷺ- فقال النبي-ﷺ- لحذيفة وأبيه: انصرفا ولا تحضرا بدر ونفي لهم بعهدهم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، (١٠/٨) حديث رقم (٢٥٦٤).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٣٢/٦).

وهذا مما يبرز عظمة ومكانة الإسلام في احترام العهود والمواثيق حتى في أحلك الفترات وأشد الظروف والصعوبات في وقت الحروب.

أخرج مسلم عن أبي الطُّفَيْلِ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ-ﷺ- قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ»(١).

في زمن غزوة بدر وقبل خروج النبي ﷺ من المدينة إلى بدر خرج حذيفة بن اليمان هو وأبوه من المدينة للزيارة أو للتجارة في الأرض التي يسيطر عليها كفار مكة، وعند عودتهم إلى المدينة كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا بدرا، وكان الكفار يجمعون أنفسهم لقتاله، ووقع حذيفة وأبوه في أيدي الكفار قد يكونون يعلمون أنهما مسلمان ولأمر ما لم يأسروهما أو لم يقتلوهما، وقد يكونون لا يعلمون أنهما مسلمان الذي حرصوا عليه أن لا يقاتلا مع محمد ﷺ فأخذوا عليهما العهد والميثاق على ذلك، وأطلقوهما وصلا إلى النبي ﷺ ببدر، وذكرا له ﷺ القصة وهو في حاجة ماسة إلى مقاتل، فالكفار يزيدون على الألف والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، فهل يعامل المشركين الغادرين بعدم الوفاء لهم؟ أم يعلو الخلق الكريم ويأمر بالوفاء بالعهد؟ ويطلب العون من الله؟ لقد اختار الثانية وأمر حذيفة وأباه أن ينصرفا عن القتال إلى المدينة وفاء بعهدهما، وقال: نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم ﷺ(٢).

إن الإشكال الواقع في العصر الحاضر على وجه الخصوص يتمثل في نقض الوعود والمواثيق وقلة الحوار، والتحايل في الوعود التي ابرمت، أو التبديل فيها من طرف الجماعة المسيطرة، في أكثر من بقعة من بلدان العالم.

وعدم التمسك بوعود الحاضر ودفن الصرعات القديمة، التي سادت فيها هيمنة ثقافة القوة والسيطرة، وذوبان ثقافة الآخر، يزيد من ضياع الهوية الثقافية، وبالتالي يرتفع مؤشر الصراعات والنزاعات وتذوب القيم وتهضم الحقوق.

والدين الإسلامي يرفض الصراعات، والإسلام يأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق والوعود، وذكرت في القران الكريم عدة مرات بصيغ مختلفة وتجسدت في مواقف كثيرة على أرض الواقع، وقد سار الصحابة رضي الله عنهم على نهج المصطفى ﷺ، في الوفاء بالعهود والمواثيق وكانت هي السياسة السائدة في ذلك الوقت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ المائدة: ١

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ

١ - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد(٣/ ١٤١٤)ح(١٧٨٧)
٢ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٧/ ٢٨٣)

هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ النحل: ٩١ - ٩٢

المبحث الخامس: المنهج النبوي في بناء المسلم مع المخالف له في الفكر والثقافة، وفيه ثلاثة مطالب:

أهم ما يمكن تناوله بالدراسة والتحليل منهج النبي ﷺ في بناء الشخصية الإنسانية التي تتكيف وتتعايش مع المخالف في الفكر والثقافة.

المطلب الأول: مبادئ التعايش السلمي والعيش المشترك مع الآخر:

أولًا: الإيمان بالأديان السماوية قاطبة: ذلك أن المسلم يؤمن بالرسالات السماوية جمعاء، فضلا عن إيمانه بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾البقرة: ٢٨٥

وهذا يعطيه أريحية في قبول الآخر، والتعايش معه تعايشًا سلميًا على النحو الذي أمر به القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾الحجرات: ١٣

وفي الحديث النبوي الشريف: قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت([1]).

ثانيًا: الاستفادة من الآخر مع احترام عقيدته دون إكراه على الدخول على الإسلام: من أهم ما يتميز به الإسلام في بناء شخصية أبنائه، هو عدم إكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية، والتعايش سويًا في كل ما يفيد أبناء الدولة الواحدة.

---

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدروعلامة الساعة (١/ ٣٦)ح(١).

وأخرجه أبو داود في سننه فقال: حدثنا عبيدالله بن معاذ به في كتاب السنة باب في القدر(٧/ ٨٠)ح(٤٦٩٥).

وأخرجه الترمذي في سننه فقال: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي عن وكيع به في أبواب الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي -ﷺ- الإيمان والإسلام (٥/ ٦)ح(٢٦١٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في سننه من طريق النضر بن شميل عن كهمس به في كتاب الإيمان وشرائعه باب نعت الإسلام(٨/ ٩٧)ح(٤٩٩٠).

وأخرجه ابن ماجه في سننه فقال: حدثنا علي بن محمد عن وكيع به في أبواب السنة باب في الإيمان(١/ ٤٣)ح(٦٣).

وأخرجه أحمد في مسنده فقال: حدثنا محمد بن جعفرعن كهمس به(١/ ٣١٧)ح(٣٦٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه من طريق حسين بن الحسن عن كهمس به في كتاب المناسك باب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً(٤/ ١٢٧)ح(٢٥٠٤).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ البقرة: ٢٥٦

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾ الكهف: ٢٩

وتتمثل الاستفادة من الآخر في استخراج الكنوز عندهم من المفكرين والخبراء في شتى المجالات.

لقد تعددت الاستعانة بالخبراء والمفكرين في السنة النبوية دون النظر لعقيدة أو عرق أو جنس من باب تقبل الآخر والانفتاح على العالم والتعايش السلمي والعيش المشترك، ومن أهم ذلك ما يلي:

أ- الدليل للنبي -ﷺ- في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة (وزير النقل والمواصلات الغير مسلم) هو: عبد الله بن أريقط الليثي الذي كان مشركًا وسلك بالنبي- ﷺ- طريقًا غير معهود، فالذاهب من مكة للمدينة يسلك ناحية اليسار إلا أنه سلك ناحية اليمين.

أخرج الحاكم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الْغَارِ مُهَاجِرًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَخَلْفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ فَسَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مِنْ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ....."(١).

قال ابن هشام: " فاستأجرا عبد اللَّه بن أريقط- رجلا من بنى الديل من بكر، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو، وكان مشركا يدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، وكانتا عنده يرعاهما ليعادهما"(٢).

وقال السهيلي: " وَالرَّابِعُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيّ وَلَمْ يَكُنْ إذْ ذَاكَ مُسْلِمًا، وَلَا وَجَدْنَا مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُمْ اسْتَأْجَرُوهُ وَكَانَ هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالطَّرِيقِ الَّذِي يَهْتَدِي بِمِثْلِ خَرْتِ الْإِبْرَةِ"(٣).

---

١ - أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب الهجرة(٣/ ٩)ح٤٢٧٢ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " وسكت عنه الذهبي، وأخرجه أيضًا من رواية حِزَامِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ هِشَامِ بْنِ حُبَيْشِ بْنِ خُوَيْلِدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- في كتاب الهجرة (٣/ ١٠)ح٤٢٧٤ وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَيُسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّتِهِ وَصِدْقِ رُوَاتِهِ بِدَلَائِلَ، فَمِنْهَا نُزُولُ الْمُصْطَفَى -ﷺ- بِالْخَيْمَتَيْنِ مُتَوَاتِرًا فِي أَخْبَارٍ صَحِيحَةٍ ذَوَاتِ عَدَدٍ، وَمِنْهَا أَنَّ الَّذِينَ سَاقُوا الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِهِ أَهْلُ الْخَيْمَتَيْنِ مِنِ الْأَعَارِبِ الَّذِينَ لَا يُتَّهَمُونَ بِوَضْعِ الْحَدِيثِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَقَدْ أَخَذُوهُ لَفْظًا بَعْدَ لَفْظٍ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، وَأُمِّ مَعْبَدٍ، وَمِنْهَا أَنَّ لَهُ أَسَانِيدَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ أَخْذِ الْوَلَدِ عَنْ أَبِيهِ، وَالْأَبِ عَنْ جَدِّهِ لَا إِرْسَالٌ وَلَا وَهَنٌ فِي الرُّوَاةِ وَمِنْهَا أَنَّ الْحُرَّ بْنَ الصَّبَّاحِ النَّخَعِيَّ أَخَذَهُ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ كَمَا أَخَذَهُ وَلَدُهُ عَنْهُ، فَأَمَّا الْإِسْنَادُ الَّذِي رَوَيْنَاهُ بِسِيَاقَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الْكَعْبِيِّينَ فَإِنَّهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَالٍ لِلْعَرَبِ الْأَعَارِبَةِ وَقَدْ عَلَوْنَا فِي حَدِيثِ الْحُرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ"، وو افقه الذهبي.

٢ - البداية والنهاية ط هجر(٤/ ٤٤٥)

٣ - الروض الأنف ت السلامي (٤/ ١٤٥)

وقال الحافظ ابن كثير: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ الدُّؤَلِيُّ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا"([1]).

وقال أ.د/ مصطفى السباعي: "واستأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط الدِّيلي وكان مشركًا ليدلهما على طريق المدينة، على أن يتجنب الطريق المعروفة إلى طريق أخرى لا يهتدي إليها كفار قريش"([2]).

ب- الاستعانة بفئة العُمال في التعليم من غير المسلمين: غلام يهودي كان يخدم النبي- ﷺ-.

روى البخاري عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: " كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ -ﷺ-، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -ﷺ-وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»"([3]).

ج- المنح الدولية لفهم الثقافات الأخرى وإزالة الخوارق.

لقد أرسل النبي- ﷺ- زيد بن ثابت -رضي الله عنه- إلى اليهود فتعلم السريانية في خمسة عشر يومًا.

أخرج الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ-رضي الله عنه- قَالَ: " أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ"([4]).

وفي رواية: " فتعلمتها في سبعة عشر يوما"([5]).

ثالثًا: إقامة العدل مع كافة البشر: من أهم ركائز الشريعة الإسلامية إقامة الحق والعدل مع كافة البشر وإن اختلفت دياناتهم، لأن الحق قامت عليه السماوات والأرض، ولأن إقرار العدل ركن أساسي في الإسلام ولو على المخالفين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥

---

١ - البداية والنهاية ط هجر(٤/ ٤٧٠)

٢ - السيرة النبوية - دروس وعبر(ص: ٦٢)

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ(٢/ ٩٤)ح١٣٥٦

٤ - أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب الاستئذان والآداب بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ السُّرْيَانِيَّةِ (٤/ ٣٦٥)ح٢٧١٥ وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَوَاهُ الأَعْمَشُ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ.

٥ - أخرجه أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٦٣)ح٢١٥٨٧ ، وصححه ابن حبان في صحيحه في كتاب إخباره-ﷺ- عن مناقب الصحابة(١٦/ ٨٤)ح٧١٣٦

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾ المائدة: ٨

ففي التعامل مع غير المسلمين، كان الرسول ﷺ يتميز بالعدل والإحسان والرحمة. فقد كان ﷺ مثالاً رائعًا في حسن المعاملة والتعامل الكريم مع الآخرين، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم. وقد جاءت تعاليم الإسلام لتؤكد هذه المبادئ السامية في التعامل مع غير المسلمين.

ومن أمثلة عدل الرسول ﷺ مع غير المسلمين:

١- معاهدة المدينة: حيث أرسى الرسول ﷺ علاقات سلمية وتعاقدية مع اليهود والمشركين في المدينة المنورة، مكفولاً لهم الأمن والحرية الدينية.

٢- صلح الحديبية: عندما أبرم الرسول ﷺ هذه المعاهدة مع قريش، التزم بشروطها بكل عدل ونزاهة، على الرغم من أنها لم تكن في صالحه في البداية.

٣- معاملة الأسرى: كان الرسول ﷺ يعامل الأسرى بإحسان ورفق، ويطلب منهم تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل فدائهم.

٤- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع غير المسلمين: كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيدًا عن القهر والإكراه.

إن هذه النماذج وغيرها تؤكد على مبادئ العدل والرحمة والإحسان التي سار عليها الرسول ﷺ في تعامله مع غير المسلمين، وهي قيم ينبغي على المسلمين أن يحتذوا بها في تعاملهم مع الآخرين.

وقال البيهقي: الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ بَابٌ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨] وَقَالَ: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: ١٠٥] وَقَالَ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ: {قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [آل عمران: ١٨] وَقَالَ: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩] وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَ فِيهَا بِالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ، وَالْكَيْلِ، وَالْمِيزَانِ، وَالشَّهَادَةِ، قَالَ: فَوُصِفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ وَوَصَّاهُمْ فِيمَا يَتَعَامَلُونَ بِهِ بِمُلَازَمَتِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا يُوجِبُهُ آلَةُ الْعَدْلِ الْمَوْضُوعَةِ بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَيْلِ، وَالْمِيزَانِ، فَثَبَتَ بِهَذَا كُلِّهِ أَنَّ الْعَدْلَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْأَحْكَامِ وَعَامَّةِ الْمُعَامَلَاتِ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ، فَأَمَّا مَا اتَّصَلَ بِغَيْرِ الْحُكْمِ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَأْمُورُونَ بِأَنْ يُنْصِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا الطَّالِبُ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا الْمَطْلُوبُ يَمْنَعُ مَا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَعْفُوَ بِهِ، وَأَمَّا مَا اتَّصَلَ مِنْهُ بِالْحُكْمِ فَجُمْلَتُهُ أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ وَلَا يَتَعَدَّى الْحَقَّ إِلَى مَا سِوَاهُ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ} ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ لَيْسَ رَجُلًا خُصَّ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقِيلَ لَهُ: احْكُمْ بِمَا شِئْتَ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَإِنَّمَا ائْتُمِنَ عَلَى حُكْمِ اللهِ تَعَالَى جَدُّهُ لِيَفْصِلَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَيَحْمِلَ الْمُخْتَلِفِينَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَا قَالَهُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ مَا لَيْسَ يَحْكُمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِمَّنْ قَالَهُ وَهُوَ غَيْرُ حَاكِمٍ، لِأَنَّهُ ائْتُمِنَ فَخَانَ، وَكَذَبَ عَلَى اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَاخْتِيَانُ الْأَمَانَةِ وَالْكَذِبُ عَلَى اللهِ شِقَاقٌ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ

وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} [الأنفال: ٢٧] وَيَقُولُ: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} [الزمر: ٦٠] قَالَ: وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ لَا يُوَلِّيَ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ جَمَعَ إِلَى الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالتَّثَبُّتَ، وَإِلَى الْفَهْمِ الصَّبْرَ وَالْحِلْمَ، وَكَانَ عَدْلًا أَمِينًا، نَزِهًا عَنِ الْمَطَاعِمِ الدَّنِيَّةَ، وَرِعًا عَنِ الْمَطَامِعِ الرَّدِيئَةِ، شَدِيدًا قَوِيًّا فِي ذَاتِ اللهِ، مُتَيَقِّظًا مُتَحَفِّظًا مِنْ سَخِطَ اللهِ، لَيْسَ بِالنِّكْسِ الْخَوَّارِ فَلَا يُهَابُ، وَلَا الْمُنْفَطِمُ الْجَبَّارُ، فَلَا يُنْتَابُ، لَكِنْ وَسَطًا خِيَارًا، وَلَا يَدَعُ الْإِمَامُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُدِيمَ الْفَحْصَ عَنْ سِيرَتِهِ، والتَّعَرُّفَ لِحَالِهِ وَطَرِيقَتِهِ، ويُقَابِلُ مِنْهُ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ بِعَاجِلِ التَّغْيِيرِ، وَمَا يَجِبُ تَقْرِيرُهُ بِأَحْسَنِ التَّقْرِيرِ، وَيَرْزُقَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ - إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَعْمَلُ بِغَيْرِ رِزْقٍ - مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكْفِيهِ، وَيُقَوِّي فِيمَا وَلَّاهُ يَدَهُ، وَيَشُدُّ أَزْرَهُ، وَبَسَطَ الْكَلَامَ فِيهِ إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُتَوَقَّى أَنْ يُقَالَ فِي وِلَايَتِهِ: هَذَا حُكْمُ اللهِ، وَهَذَا حُكْمُ الدِّيوَانِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ قَائِلِهِ إِشْرَاكٌ بِاللهِ، إِذْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام: ٦٢] كَمَا قَالَ: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] ، وَقَالَ: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦]

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مَعْنَاهُ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي تَقَلُّدِ الْقَضَاءِ آثَارٌ تُزَهِّدُ فِيهِ، بَلْ تُوجِبُ التَّحَرُّزَ وَالْفِرَارَ مِنْهُ، وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ الْقَضَاءِ، وَالدِّلَالَةِ عَلَى خَطَرِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ، لَا عَلَى الْكَرَاهَةِ لَهُ مِنْ طَرِيقِ أَنَّ فِيهِ قُبْحًا، أَوْ مَأْثَمًا، أَوْ سُقَاطَةً، وَأَنَّ مَنْ فَرَّ مِنْهُ فَلَا شَفَاقَةَ مِنْ أَنْ لَا يَقُومَ بِحَقِّهِ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: " فَمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَا يُمْكِنُهُ الْقِيَامُ مَعَهُ بِحَقِّهِ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلشُّرُوعِ فِيهِ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُشَاوِرَ فِيهِ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْأَمَانَةِ مِمَّنْ خَبَرَهُ وَتَبَطَّنَ حَالَهُ وَأَمْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، لِيُخْبِرُوهُ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا لَعَلَّهُ يَخْفَى عَلَيْهِ. وَبَسَطَ الْحَلِيمِيُّ الْكَلَامَ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا وَرَدَ فِي كُلِّ فَصْلٍ مِنْ فُصُولِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، والْآثَارِ فِي كِتَابِ أَدَبِ الْقَضَاءِ مِنْ كِتَابِ السُّنَنِ، مَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ "([1]).

أخرج الترمذي والحاكم عن قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَّا يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو أُبَيْرِقٍ بِشْرٌ وَبُشَيْرٌ وَمُبَشِّرٌ، وَكَانَ بُشَيْرٌ رَجُلًا مُنَافِقًا يَقُولُ الشِّعْرَ يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَنْحَلُهُ بَعْضَ العَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الشِّعْرَ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ إِلَّا هَذَا الخَبِيثُ، أَوْ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ، وَقَالُوا: ابْنُ الأُبَيْرِقِ قَالَهَا، قَالَ: وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وَكَانَ النَّاسُ إِنَّمَا طَعَامُهُمْ بِالمَدِينَةِ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهُ يَسَارٌ فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ مِنَ الدَّرْمَكِ، ابْتَاعَ الرَّجُلُ مِنْهَا فَخَصَّ بِهَا نَفْسَهُ، وَأَمَّا العِيَالُ فَإِنَّمَا طَعَامُهُمُ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ، فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ فَابْتَاعَ عَمِّي رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ حِمْلًا مِنَ الدَّرْمَكِ فَجَعَلَهُ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ، وَفِي المَشْرُبَةِ سِلَاحٌ وَدِرْعٌ وَسَيْفٌ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَحْتِ البَيْتِ، فَنُقِبَتْ المَشْرُبَةُ، وَأُخِذَ الطَّعَامُ وَالسِّلَاحُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ قَدْ عُدِيَ عَلَيْنَا فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ، فَنُقِبَتْ مَشْرَبَتُنَا فَذُهِبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا. قَالَ: فَتَحَسَّسْنَا فِي الدَّارِ وَسَأَلْنَا فَقِيلَ لَنَا: قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أُبَيْرِقٍ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَلَا نَرَى فِيمَا نَرَى إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ، قَالَ: وَكَانَ بَنُو أُبَيْرِقٍ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ فِي الدَّارِ: وَاللَّهِ مَا نُرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا لَبِيدَ بْنَ سَهْلٍ، رَجُلٌ مِنَّا لَهُ صَلَاحٌ وَإِسْلَامٌ، فَلَمَّا سَمِعَ لَبِيدٌ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَقَالَ: أَنَا أَسْرِقُ؟ فَوَاللَّهِ لَيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنُنَّ هَذِهِ السَّرِقَةَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا، فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا، فَقَالَ لِي عَمِّي: يَا ابْنَ أَخِي لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلَ جَفَاءٍ، عَمَدُوا إِلَى عَمِّي

---

١ - شعب الإيمان (١٠/ ٣٠)

رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ فَنَقَبُوا مَشْرَبَةً لَهُ، وَأَخَذُوا سِلَاحَهُ وَطَعَامَهُ، فَلْيَرُدُّوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا، فَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَآمُرُ فِي ذَلِكَ» ، فَلَمَّا سَمِعَ بَنُو أُبَيْرِقٍ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَيْرُ بْنُ عُرْوَةَ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ، يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: «عَمَدْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَبَيِّنَةٍ» ، قَالَ: فَرَجَعْتُ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: ١٠٥] بَنِي أُبَيْرِقٍ {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} [النساء: ١٠٦] أَيْ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ٢٣] {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ} [النساء: ١٠٨]- إِلَى قَوْلِهِ - {غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ٢٣] أَيْ: لَوْ اسْتَغْفَرُوا اللَّهَ لَغَفَرَ لَهُمْ {وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ} [النساء: ١١١]- إِلَى قَوْلِهِ - {وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: ٢٠] قَوْلَهُمْ لِلَبِيدٍ {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ} [النساء: ١١٣]- إِلَى قَوْلِهِ - {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٤] فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّلَاحِ فَرَدَّهُ إِلَى رِفَاعَةَ، فَقَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا أَتَيْتُ عَمِّي بِالسِّلَاحِ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَشَا - أَوْ عَسَا - فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكُنْتُ أُرَى إِسْلَامُهُ مَدْخُولًا، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ بِالسِّلَاحِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ صَحِيحًا، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ لَحِقَ بُشَيْرٌ بِالْمُشْرِكِينَ، فَنَزَلَ عَلَى سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ ابْنِ سُمَيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١١٥] فَلَمَّا نَزَلَ عَلَى سُلَافَةَ رَمَاهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرٍ، فَأَخَذَتْ رَحْلَهُ فَوَضَعَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ فَرَمَتْ بِهِ فِي الْأَبْطَحِ، ثُمَّ قَالَتْ: أَهْدَيْتَ لِي شِعْرَ حَسَّانَ؟ مَا كُنْتَ تَأْتِينِي بِخَيْرٍ(١).

في هذه الآية(٢) تشريف للنبي ﷺ وتكريم وتعظيم وتفويض إليه، وتقويم أيضا على الجادة في الحكم، وتأنيب على ما رفع إليه من أمر بني أبيرق، وكانوا ثلاثة إخوة: بشر وبشير ومبشر، وأسير بن عروة ابن عم لهم، نقبوا مشربة لرفاعة بن زيد في الليل وسرقوا أدراعا له وطعاما، فعثر على ذلك. وقيل إن السارق بشير وحده، وكان يكنى أبا طعمة أخذ درعا، قيل: كان

---

١ - أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب تفسير القرآن الكريم، باب ومن سورة النساء(٥/ ٢٤٥)ح٣٠٣٦ وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَسْنَدَهُ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ الحَرَّانِيِّ. وَرَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، وَغَيْرُوَاحِدٍ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَبْنِ قَتَادَةَ مُرْسَلًا، لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ. وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ هُوَ: أَخُو أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ لِأُمِّهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ.

وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الحدود (٤/ ٤٢٦)ح٨١٦٤ وقال عقبه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وسكت عنه الذهبي

٢ -الآية هي: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ النساء: ١٠٥

الدرع في جراب فيه دقيق، فكان الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره، فجاء ابن أخي رفاعة واسمه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى النبي ﷺ، فجاء أسير بن عروة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فأنبوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله ﷺ على قتادة ورفاعة، فأنزل الله تعالى: (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية. وأنزل الله تعالى: "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما (١٠٥)".([1]).

رابعًا: المساواة وعدم التمييز بين البشر: من أهم ما صبغ به الإسلام أبناءه صبغة المساواة بين البشر، وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد حارب التفرقة في المعاملة بسبب الألوان، وشدد النكير على من يعمل هذه التفرقة، فليس في الإسلام بمقتضى مبادئه اختلاف في المعاملة بسبب اختلاف الألوان، وإن التفاوت بين الناس بالعمل لا باللون، أو الجنس، أو غير ذلك.

أخرج أبو داود والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ "(٢).

خامسًا: مبدأ السلام: يربي الإسلام في نفوس أبنائه مبدأ مهما يؤصل من خلاله أن السلام أصل في العلاقات الإنسانية بين الشعوب، وأن الحرب لم تشرع في الإسلام إلا لأجل الدفاع عن مقاصد الحق في الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ البقرة: ٢٠٨

على هذا النحو أسس النبي صلى الله عليه وسم، وأصل أساس العلاقات الإنسانية، وأن الحرب أو الجهاد لم يشرع إلا لتحقيق نظرية الدفاع الشرعي التي اعترف بها العالم الآن وأسس لها في كل تشريعاته واتفاقاته، وكذلك من مبدأ السلام نهى الله سبحانه وتعالى عن سب المخالفين لمسلم في الاعتقاد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾ الأنعام: ١٠٨

قال ابن كثير: «يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو»(٣).

---

١ - تفسير القرطبي (٥/ ٣٧٥)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، (٤٩٢/٤) حديث رقم (٥١١٦). وأخرجه الترمذي في جامعه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب، (٢٢٥/٦) حديث رقم (٣٩٥٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

وقال القرطبي: «وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين»(١).

ومن أروع الأمثلة في سلام النبي -ﷺ- مع الآخر حتى عند إيذاء الآخر له ما أخرجه الشيخان عن عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "(٢).

سادسًا: مبدأ التسامح: يربي الإسلام في نفوس أتباعه مبدأ التسامح مع الآخر، وعدم النيل منه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩ ﴾ الزخرف: ٨٩

إن قريشًا آذات رسول الله -ﷺ- كثيرًا في مكة من اضطهاد وتضييق وحصار ووضع النجاسة على ظهره وهو يصلي وضرب أصحابه وجراحهم ومع كل ذلك كان يتسامح ويدعو بالدعاء المشهور" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

أخرج الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود-ﷺ-، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»(٣).

لَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ بَعْدَ تَخْرِيجِ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمر شَيْء"، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَاكِي وَالْمَحْكِيُّ ، وَأَمَّا النَّوَوِيُّ فَقَالَ: هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَا حَكَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا نَحْوُ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، ويؤكده وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ فيَحْتَمِلُ أَنَّ ذَلِكَ لَمَّا وَقَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لأَصْحَابه أنه وَقع لشَيْء آخَرَ قَبْلَهُ، وَذَلِكَ فِيمَا وَقَعَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا شُجَّ وَجْهُهُ وَجَرَى الدَّمُ مِنْهُ، فَاسْتَحْضَرَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ قِصَّةَ ذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ فَذَكَرَ قِصَّتَهُ لِأَصْحَابِهِ تَطْيِيبًا لقلوبهم(٤).

وعلى هذا المنهج الإسلامي بنى الرسول عليه الصلاة والسلام شخصية أتباعه، في جو من السماحة والعداله، والاعتراف بالآخر، والعيش معه في أمن وسلام، وكفل حق الدفاع الشرعي من أجل رد الاعتداء دون تجاوز، مع الاعتراف للآخر بحقه في اعتقاد ما يشاء، والإخاء بين الشعوب، لينتفع الجميع بخيرات الكون، ولتزدهر الأرض بمن فيها ومن عليها، ألا ما أحوج الشعوب لمثل هذا في أيامنا هذه لينعم الجميع بالسلم والسلام، والأمن والأمان في هذا الكون الفسيح.

---

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٦١).

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله(٨/ ١٢)ح٦٠٢٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليه (٤/ ١٧٠٦)ح(٢١٦٥)

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار(٤/ ١٧٥)ح٣٤٧٧
وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسيرباب غزوة أحد (٣/ ١٤١٧)ح(١٧٩٢)

٤ - فتح الباري لابن حجر(٦/ ٥٢١)

والمنهج النبوي وهو يتحرك لبناء المجتمع، انطلاقا من بناء الإنسان، يضع في اعتباره نموذج هذا الإنسان، الذي يفترض فيه التأهل لحمل أعباء الاستخلاف في الأرض، فإنسان مسئول في كل ساحة يتواجد فيها.

أخرج الشيخان أن النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ "(١).

وأرشد -ﷺ- إلى النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، طبقا لسنن الدعوات، وقوانين البلاغ المبين، فالشرائع السماوية متفقة في ذلك فقال: " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩

والسيرة النبوية تجربة رائدة لم يُسبق إليها في تاريخ البشرية لجعل المجتمع الإسلامي وحدة متماسكة؛ وتقوية الرابطة الأخلاقية بين أفراده؛ وأعني بذلك تجربة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ وحرص النبي ﷺ على أن يكون لقيمة المؤاخاة أثرها الإيجابي في تغليب العنصر الإنساني المؤيد بالدين على النزعة القبلية؛ والحمية الجاهلية التي كانت طاغية على النفوس، وهذه التجربة في الواقع حجة قوية ضد دعاوى استقلال الأخلاق عن الدين، فهي منحة ربانية يعجز الجهد البشري بمفرده على تحقيقها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أن أصل الناس سواء أبوهم آدم والأم حواء، ثم حدث الاختلاف، وهذا ينجم عنه التعايش بين الناس مهما اشتد التباين وكثر التعدد الثقافي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩ ﴾ يونس: ١٩

وبينت السنة النبوية الجانب القيمي والأخلاقي والسلوكي في العلاقات والتواصل بين الناس في جميع شؤون حياتهم، وظهرت صورة العلاقات بين الجماعات المختلفة واضحة جلية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قوا أنفسكم وأهليكم نارا، (٢٦/٧) حديث رقم (٥١٨٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، (٧/٦) حديث رقم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، (٥٠/١) حديث رقم (٤٩).

في عهد النبي ﷺ؛ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وتعامل مع اليهود فحافظ على حقوقهم رغم اختلاف دينهم وتعدد قبائلهم، وظل تطبيق القيم الإسلامية في العلاقات الإنسانية في عهد الخلفاء الراشدين، والعصور التي بعدها، وتجسدت القيم الإسلامية للحوار الحضاري في تعاملات القادة المسلمين مع شعوب وقبائل البلدان التي فتحها المسلمون وذاع صيت عدلهم، وقيمهم الإسلامية التي كانت منهج حياة، ونظام سائد في ذلك الوقت، فكل شخص يمارس معتقداته الدينية بُحرية مع تبادل الاحترام بين الأطراف المتعددة، وتقبل رأي الآخر، والحوار الهادف، بقيمه الإسلامية العالمية، فعم الأمن والسلام، والتعايش السلمي، والأمان والاستقرار، وهذه من القيم الحضارية التي كانت سائدة في عصر الدولة الإسلامية القوية، فانتشر الإسلام والسلام.

المطلب الثاني: قواعد وأسس العالمية الإسلامية:

العالمية الإسلامية لها قواعد ومبادئ مستقرة ينبغي التسليم بها والعمل بموجبها ومنها:

١- أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم من الدول والملل الأخرى هي علاقة السلم، وليست علاقة حرب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنفال: ٦١

٢- إن الحرب في الإسلام هي حرب دفاعية وليست هجومية، فهي لرد العدوان فقط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة: ١٩٠ - ١٩٤

٣- إن الإسلام اعترف بالأديان الأخرى ودعا إلى احترام معتنقيها ومعاملتهم بالتي هي أحسن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦

فالأمر بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن هو اعتراف بوجودهم؛ لأن المحاورة بحد ذاتها تعني الاعتراف بالآخر واحترامه رغم التعددية الثقافية.

المطلب الثالث: الرسول-ﷺ- وتعايشه مع الآخر:

لا يخفى على كل ذي لب أن النبي -ﷺ- عاش في مكة ودعوته لم تتوقف رغم كثرة الإيذاء والاضطهاد من قريش، ثم انتقل إلى المدينة والدعوة أيضًا لم تتوقف رغم كثرة اليهود بها والمنافقين بداخلها، وسنحاول إلقاء الضوء على بعض النماذج من السنة النبوية لبيان سمو خلق النبي-ﷺ- في تعامله مع الآخر:

النموذج الأول: سمو أخلاق النبي-ﷺ-عندما دعا عليه اليهود بالموت والهلاك

أخرج الشيخان عن عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "([1]).

لقد كان اليهود يسكنون قرى حول المدينة، وعلى أطرافها، ويجوبون الديار والشوارع والمحلات خلالها، يتعاملون بالبيع والشراء وتبادل المنافع مع أهلها، وقد جاءها الإسلام، وكفروا به ظلماً وعلواً، وقوي فيها الإسلام، وشبت دولته، وهم ضعفاء، لكنهم أعداء، يتربصون بالإسلام الدوائر، ويتعاطفون مع المشركين تارة، ويتحزبون معهم أخرى، ويكيدون للمسلمين ثالثة، لكنهم جبناء، في الظاهر مسالمون، وفي الباطن محاربون {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر} [آل عمران: ١١٨] كانت التحية عندهم: أنعم صباحاً، وأنعم مساء، وأبدل الله المسلمين بها تحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصارت هذه التحية شعار المسلمين إذا التقوا، لكن اليهود لم يظهروا محاربتهم لهذه التحية، بل حاولوا أن يظهروا استحسانهم لها وقبولها، فكانوا إذا لقوا المسلمين قالوا لهم: السام عليكم، بدون اللام، والسام الموت، يوهمونهم أنهم يقولون: السلام عليكم، وهم يدعون على المسلمين بالموت، وفطن المسلمون لهذا، فشكوا إلى رسول الله ﷺ. كيف نرد عليهم يا رسول الله؟ قال ﷺ: قولوا: وعليكم، وتجاوز الأمر الصحابة إلى رسول الله ﷺ نفسه، دخل عليه جماعة منهم، وهو في بيت عائشة -ﷺ- فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. وسمعتهم عائشة، وفطنت لقولهم، فغضبت، وثارت، وقالت لهم: وعليكم السام والموت الذؤام ولعنة الله والناس أجمعين، فأشار إليها ﷺ أن تمسك وأن تهدأ، فلما انصرفوا قال لها: يا عائشة، ما لهذا الفحش والسب والدعاء؟ إن الله لا يحب الفحش، ولا تكلفه ومعالجته وارتكابه، قالت: أو ما سمعت؟ إنهم يقولون: السام عليك. قال: قد سمعت وفطنت، كما سمعت أنت وفطنت، أو لم تسمعي ما رددت به عليهم؟ لقد قلت: وعليكم.

أنا لم أبعث فاحشًا ولا متفحشًا، دعونا عليهم بما دعوا به علينا، ولا يجاب لهم، ويجيب الله دعاءنا، ونزل قوله تعالى: {وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم} [المجادلة: ٨]([2]).

النموذج الثاني: زيارته لغلام يهودي مريض كان يخدمه بالمدينة

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله(٨/ ١٢)ح٦٠٢٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليه (٤/ ١٧٠٦)ح(٢١٦٥)

٢ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٨/ ٤٨٧)

أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

فِي الْحَدِيثِ جَوَازُ اسْتِخْدَامِ الْمُشْرِكِ وَعِيَادَتِهِ إِذَا مَرِضَ، وَفِيهِ حُسْنُ الْعَهْدِ، وَاسْتِخْدَامُ الصَّغِيرِ، وَعَرْضُ الْإِسْلَامِ عَلَى الصَّبِيِّ، وَلَوْلَا صِحَّتُهُ مِنْهُ مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ، ففي قَوْلِهِ "أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ": دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ صَحَّ إِسْلَامُهُ، وَعَلَى أَنَّ الصَّبِيَّ إِذَا عَقَلَ الْكُفْرَ وَمَاتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يعذب(٢).

قال الشوكاني: وفي الحديث دليل على جواز زيارة أهل الذمة إذا كان الزائر يرجو بذلك حصول مصلحة دينية كإسلام المريض. قال المنذري: قيل يعاد المشرك ليدعى إلى الإسلام إذا رجي إجابته، ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي - ﷺ – الإسلام(٣).

النموذج الثالث: وقوفه لجنازة يهودي مارة في الطريق.

أخرج الشيخان عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»(٤).

إن القيام للجنازة شرع لكونها نفسًا، لا لكونها مؤمنة، ومعنى القيام لكونها نفسًا أنها حلّ بها الموت الذي هو أمر عظيم، وخَطَر جسيم على الإنسان، فينبغي له أن يقابله بالفزع والرهبة، والخضوع والاستكانة، لا بالغفلة، والذهول، والتكبّر والأَنَفَة، وهذا المعنى لا يخصّ نفس المؤمن، بل يعمّ كل نفس حلّ بها الموت... واستُدلّ بهذا الحديث على جواز إخراج جنائز أهل الذمة نهارًا غير متميّزة عن جنائز المسلمين(٥).

والقيام للجنازة أيضًا من باب تقديس الموت، وزيادة الاعتبار به، والخشوع والخضوع له، والتسليم بجريانه على رقاب العباد(٦).

النموذج الرابع: الصحيفة أو دستور المدينة بالإبقاء على اليهود داخل المدينة وعدم هدم دور عبادتهم رغم أن مرجعية الدولة إسلامية.

بدأت حياة النبي -ﷺ- بالمدينة حياة جديدة مبنية على حرية العقيدة، واحترام الاختلاف، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، وأن المجتمع المسلم بالمدينة كله يدًا واحدة، ويقف المسلمون واليهود صفًا واحدًا فى وجوه الظلم، ويجب على الجميع احترام وتنفيذ قوانين هذه الوثيقة التى هى بمثابة القوانين الدستورية لدول العالم فى هذه الآونة.

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ (٢/ ٩٤)ح١٣٥٦

٢ - فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٢١)

٣ - نيل الأوطار (٨/ ٧٧)

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ (٢/ ٨٥)ح١٣١٢

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب القيام للجنازة(٢/ ٦٦١)ح(٩٦١)

٥ - ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٩/ ١٠٠)

٦ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٤١)

فكانت حياة المسلمين بالمدينة قائمة على العدل وعدم الظلم، وتختلف اختلافًا كاملًا عن حياة أهل مكة الذين آذوا رسول الله -ﷺ- واضطدوه هو ومن تبعه من الصحابة.

لقد كان لهذه الوثيقة بنود بلغت (٥١) بندًا، تعد بمثابة مواد قانونية فى عصرنا الحاضر.

روى أحمد فى مسنده بعض بنود هذه الوثيقة، فعن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده: أن النبى ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا مَعَاقلهم(١)، وأن يَفْدُوا عانِيَهم(٢) بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين(٣).

ومن خلال التمعن في بنود وثيقة المدينة يتضح لنا الآتي:

١- حسن سياسة وقيادة النبى -ﷺ- التى نتج عنها تأليف قلوب سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود.

٢- التماسك والتحالف والترابط بين سكان المدينة، فقد وقفوا جميعًا يدًا واحدةً فى وجه كل من يريد المدينة وأهلها بسوء، وهذا ما يُعبر عنه فى عصرنا الحاضر بالوحدة الوطنية.

٣- تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي بين جميع طوائف المدينة، فلا يتركون شخصًا مثقلًا بالديون حتى يقفوا بجانبه، ويقضون دينه، دون النظر إلى العقيدة أو اللون أو اللغة.

٤- تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين جميع الناس من المسلمين واليهود، سواء كانوا حكامًا أو محكومين، أغنياء أو فقراء، رجال أعمال أو عمال، وكذا أعلنت الصحيفة أنه لا بد من نصرة المظلوم، والوقوف فى وجوه المعتدين.

٥- تحقيق مبدأ الولاية للمسلمين، وأن لهم الكلمة والسيادة والرفعة.

٦- لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا يُنصر كافر على مؤمن.

٧- مرجعية الدولة سواء مسلمين أو يهود لله ولرسوله ﷺ، فقد نصت الوثيقة على تحكيم شرع الله تعالى فى أمور الخلاف.

٨- معاونة ومساندة اليهود للمسلمين فى وقت الحروب.

٩- تحقيق مبدأ التعاون على البر، وإبداء النصح والنصيحة، وعدم التعاون على الإثم والظلم.

١٠- تفعيل الأخذ بمبدأ القصاص والدية، دون تفضيل طائفة على أخرى، فقد كانت بين يهود بنى النضير ويهود بنى قريظة اختلاف فى دية القتلى، فكان ليهود بنى النضير سطوة وسيطرة على يهود بنى قريظة، فكان بنى النضير يفرضون على بنى قريظة دية مضاعفة، فجاءت

---

١ - معاقلهم: معقلة من العقل، وهو الدية، وقال ابن الأثير: أَى يَكُونُونَ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِ الدِّيات وَإِعْطَائِهَا. النهاية ٢٧٩/٣ الروض الأنف ١٧٤/٤

٢ - عانيهم: العانى: الأسير والمخذول الذى تركه قومه ولم يواسوه.

٣ - أخرجه أحمد فى مسنده ١١٣/٣ ح ٢٤٤٣ وصححه الشيخ أحمد شاكر.

أما جميع بنود الوثيقة فقد أسندها أبو عبيد القاسم بن سلام بسند جيد فى كتابه الأموال، وكذا ابن زنجويه فى كتابه الأموال، فقد قال الصالحى الشامى: ذكر ابن إسحاق نسخة الكتاب -أى الوثيقة- وهو نحو ورقتين بغير إسناد، ورواه أبو عبيد فى كتاب الأموال بسند جيد عن الزّهرى. وينظر: سيرة ابن هشام ٥٠١/١ ، الأموال للقاسم بن سلام ٢٦٠ ح ٥١٨ ، الأموال لابن زنجويه ٤٦٦/٢ ح ٧٥٠ ، سبل الهدى والرشاد ٣٨٢/٣ ، الروض الأنف ١٧٤/٤ ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ٢٩٦/١ ، عيون الأثر ٢٢٧/١ ، السيرة النبوية لابن كثير ٣٢١/٢ ، بهجة المحافل وبغية الأماثل ١٦٨/١ ، الرحيق المختوم ١٦٨ ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة لحيدرآبادى ٦٢

هذه الصحيفة لتعلن العدل بين الجميع، وتقضى وتزيل ما بين طوائف اليهود من ظلم واضطهاد.

١١- بقاء العمل ببنود هذه الوثيقة إلى يومنا هذا فى كثير من دول العالم، وهذا مما يؤكد أبديتها وأزليتها، لأنها بوحى من الله تعالى، الذى خلق البشر، وهو أعلم بما ينفعهم .

ولا تزال المبادئ التى تضمنها الدستور فى جملتها معمولًا بها، والأغلب أنها ستظل كذلك فى مختلف نظم الحكم المعروفة إلى اليوم، ثم قال مكملًا: وصل إلينا الناس بعد قرون من تقريرها فى أول وثيقة سياسية دوَّنها الرسول -ﷺ-(١).

١٢- قانون الحريات، والاهتمام بحقوق الإنسان، فقد نصت الصحيفة على أن الحريات مكفولة ومصونة للجميع كحرية العقيدة والعبادة وغير ذلك، ونلمح ذلك فى البند السابع والعشرين: لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم.

١٣- رسمت الصحيفة قوانين دولة الإسلام فى الداخل، وخطت خطوطًا عريضة فى كيفية تعامل المسلم مع غير المسلمين فى الخارج، فبينت أن التعامل ينبغي أن يُقام على مبدأ التسامح، وإرساء مبادئ المساواة والعدل.

١٤- إبطال رأى أعداء الإسلام القائلين بأن الإسلام ما هو إلا علاقة بين الإنسان وربه، ليس له اهتمام بجوانب وشئون الحياة، ودعموا ذلك بمقولتهم المشهورة: "الدين لله والوطن للجميع" وهذا فيه نظر، لأن دولة أو وطن بغير دين ليس بوطن، فالدين والوطن لله.

إن الممعن فى بنود هذه الوثيقة يرى أنها اهتمت بجميع نظم الدولة من قوانين مدنية ودولية، وتنظيمات تشريعية ودستورية وإدارية، فالإسلام دين كامل متكامل منذ مولده وحتى تقوم الساعة حمل فى طياته الهيكل المتكامل للدولة، وعلاقتها مع دول العالم الأخرى.

١٥- أن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق.

لقد ظهر موقف اليهود بالمدينة المنورة فور الانتهاء من بنود الوثيقة بعد اقرارهم ورضائهم أمام النبى -ﷺ- بكل ما فيها، فسرعان ما نقضوا عهودهم، ولم يلتزموا بالمواثيق، فكان أول شئ عدم التزامهم ببنود هذه الوثيقة، وظهر غدرهم ومكرهم للإسلام وأهله، رغم كل الحجج والبراهين والنصوص الموجودة فى الكتاب المقدس التى تنص على بعثة النبى -ﷺ- وعلى مكانة الدين الذى جاء به، وأنه ناسخ لكل الملل السابقة، ورغم المعاملة الطيبة التى ظهرت من النبى -ﷺ- وأصحابه بالمدينة، مع أن المسلمين بالمدينة أهل شوكة وغلبة وقوة.

كل هذا لم يجعل اليهود يؤمنون برسالة النبى -ﷺ- ويصدقونه، بل ازدادوا عنادًا وكفرًا واستكبارًا، وحقدًا وحسدًا على الإسلام وأهله، وظهرت مؤامرتهم الخبيثة للرسول -ﷺ- والمسلمين. ومع كل ذلك لم يجبرهم الرسول-ﷺ- على الدخول في الإسلام. فشتان الفارق بين سمو أخلاق النبي -ﷺ- في التعامل معهم وبين ما دبروه وفعلوه وأظهر البغيضة من صدورهم.

النموذج الخامس: محاولة اغتياله عقب غزوة بدر وحسن خلقه مع مَن أراد اغتياله.

لقد حاول أعداء الإسلام اغتيال سيدنا محمد -ﷺ- أكثر من مرة، ومن هذه المرات ما كان عقب غزوة بدر من عمير بن وهب الجمحى بعد اتفاقه مع صفوان بن أمية على ذلك، فجهز سيفه وجاء لقتل النبى -ﷺ-، لكن رجع من عند رسول الله -ﷺ- مسلمًا، وأسلم خلفه من قومه الكثير.

---

١ - النظام السياسى فى الإسلام ٦٥

روى الأئمة فى كتبهم أن عمير بن وهب الجمحى جلس مع صفوان بن أمية فى الحِجْر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله -ﷺ- وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: (والله ما فى العيش بعدهم خير). قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دَيْنٌ على ليس عندى قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة، ابنى أسير فى أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا، لا يسعنى شئ ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم على شأنى وشأنك. قال: أفعل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم فى عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحًا سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرٍ وهو الذى حرش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله -ﷺ- فقال: يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه.

قال -ﷺ- : "فأدخله علىَّ" قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبَّبَه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله -ﷺ- فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله -ﷺ-، فلما رآه رسول الله -ﷺ- وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: "أرسله يا عمر، ادنُ يا عميرُ".

فدنا ثم قال: انعموا صباحًا، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله : "أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة".

فقال: أما والله، يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

فقال: "فما جاء بك يا عمير؟" قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: "فما بال السيف فى عنقك؟" قال: قبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟!!

قال: "اصدقنى ما الذى جئْتَ به؟" قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: "بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دينٌ على وعيالٌ عندى لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك".

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فو الله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله -ﷺ-: "فقهوا أخاكم فى دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا".

ثم قال: يا رسول الله إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله تعالى، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم، قال: فأذن له رسول الله فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عن الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه،

فحلف أن لا يكلمه أبدًا، ولا ينفعه بنفع أبدًا"، فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذى من خالفه أذى شديدا، فأسلم على يديه ناس كثير(١).

لقد حملت قضية اغتيال رسولنا-ﷺ- عقب بدر عدة عبر ودلائل نجملها فيما يلى:

أ- أعداء الإسلام فى كل زمان ومكان يصدون الناس عن الدعوة الإسلامية، ولا يكتفون بذلك، بل يحاولون اغتيال الدعاة وقتلهم، ويستأجرون المجرمين أو الفقراء لتنفيذ هذا الغرض الخبيث، وهذا يتضح من أن صفوان من الأغنياء استغل فقر عمير وقلة ذات يده ليرسل لقتل سيدنا محمد -ﷺ-.

ب- شدة محبة الصحابة لسيدنا محمد -ﷺ-، فسيدنا عمر -ﷺ- انتبه لمجيء عمير، وقال: هذا شيطان، ما جاء إلا لشر، وأمسك حمالة سيفه ليعطل وظيفة السيف فلا يستطيع الاعتداء على رسول الله -ﷺ-.

ج- عظم أخلاق النبى -ﷺ- في بناء الإنسان، فقد أحسن إلى عمير، وأطلق ولده الأسير، وعفا عنه مع أنه جاء ليقتله، وهذا أكبر رد على من يقولون بأن الإسلام انتشر بالسيف.

د- رفض النبى -ﷺ- الرد على عمير بتحية الجاهلية يؤكد الاعتزار بالدين، فليس هناك أفضل من تحية أهل الجنة التى أكرم الله بها المسلمون.

هـ- عصمة النبى -ﷺ- من القتل، فعمير قادم لقتل النبى -ﷺ-، وقلبه مليء بالحقد على الإسلام وأهله، لكنه عاد مسلمًا، قوى الإيمان، محبًا للإسلام ولرسول الإسلام -ﷺ-، وواجه مكة كلها بالإسلام، وأسلم على يديه ناس كثير، وردَّ الله تعالى كيد صفوان فى نحره.

هذه بعض نماذج تبرز حسن معايشة النبي-ﷺ- للآخر ومدي قبوله لهم، وجميل معاشرته لهم في وقت الغلبة والعزة فيه لله ولرسوله وللمؤمنين. وهذا ما لا تراه في أي ملة أو دستور دولي تشريعي في عصرنا الحاضر. فالحمد لله الذي جعلنا من أمة سيد ولد عدنان-ﷺ-.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

من خلال معايشتي مع هذا البحث اتضح لي عدة نتائج من أهمها ما يلي:

١- أن الإسلام كان له السبق على جميع الأمم السابقة والأنظمة العالمية بالعناية في بناء الإنسان وتكيفه مع الآخر دون النظر إلى عرق أو فكر مع الحفاظ على الهوية.

٢- بناء المعنى أهم من بناء المبنى.

٣- إن النظام الاجتماعي للإسلام نظام عالمي، يحتضن الناس جميعا دون أي استثناء.

٤- إن المنهج النبوي في بناء الإنسان المسلم يتميز بالشمول والتكامل، حيث يعالج جميع جوانب الشخصية الإنسانية، ويجعلها قادرة على التعامل مع التغيرات والتحديات المعاصرة. ويتطلب ذلك منا جهدًا مستمرًا في دراسة هذا المنهج وتطبيقه في حياتنا الفردية والاجتماعية؛ لننشئ جيلاً من المسلمين القادرين على تحقيق التقدم والرقي للأمة الإسلامية.

٥- إن كثيرا من الدراسات والأبحاث المعاصرة حول بناء الإنسان والتي تنسب لمفكرين غربيين أصولها ترجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

---

١ - أخرجه ابن إسحاق فى السيرة كما عند ابن هشام عن عروة بن الزبير مرسلًا ٦٦٣/١ وأخرجه ابن منده موصولًا عن أنس بن مالك ﷺ كما عند ابن حجر فى الإصابة فى تمييز الصحابة ٦٠٤/٤

٦- يعد بناء الانسان المسلم لعالم المتغير أساس التنمية المستدامة، فمن خلال بنائه يتقدم المجتمع اقتصاديًا وثقافيًا ووجدانيًا، لإن الإنسان هو صانع التغيير والقائم بالبناء والتطوير في شتى مجالات الحيا.

٧- رسالة الأنبياء والمرسلين تتلخص في بناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه.

٨- بناء الإنسان المسلم لعالم متغير يتطلب تربية شاملة متوازنة جامعة بين الأصالة والمعاصرة.

٩- السنة النبوية مليئة بالكنوز في صناعة بناء الإنسان وتكيفه مع الثقافات المختلفة في ظل عالم متغير.

١٠- تميز المنهج النبوي في قبول الآخر من خلال حياته ﷺ في مكة مع المشركين ثم انتقاله للمدينة وعيشه وحياته مع اليهود والمنافقين بها.

١١- يتسم المنهج النبوي في بناء الإنسان بأنه رباني، ويسعى لتحقيق مصالح العباد والبلاد وذلك من منطلق صلاحيته لكل زمان ومكان وموازنته بين أمور الدنيا والأخرة.

١٢- وجود منطلقات لبناء الإنسان في ضوء السنة النبوية تتلخص في عمق العقيدة وانتفاء وانتقاء البيئة الداعمة واختيار الرفقة الصالحة والمرونة في الممارسات الدينية بدون افراط أو تفريط مع التخطيط الكامل لأوقات الضعف التي قد تلحق به.

١٣- البناء بالقدوة العملية أقوى من البناء بالمواعظ والمجالس العلمية.

١٤- الإنسان المسلم هدفه في الحياة وغايته أن يحسن الاستحلاف في الأرض حتى يتحقق وعد الله تعالى في قوله ردًا على الملائكة " إني أعلم ما لا تعلمون".

١٥- اهتم القران الكريم ببناء الإنسان جسديًا منذ أن كان نطفة حتى صار شيخًا كبيرًا، وذلك في كثير من آياته الكريمة.

١٦- أكَّد القرآن الكريم على البناء الأخلاقي للإنسان اقتداء بالمعلم والمربي الأول الذي مدحه ربه بقوله تعالى في سورة القلم" وإنك لعلى خلق عظيم".

١٨- حث القران الكريم الإنسان في صناعة بناء الإنسان في ظل عالم متغير على احترام الأعراف والتقاليد والأخلاق الاجتماعية والعلاقات الأخوية مما يسهم في روح الإصلاح والمحبة بين الجميع من توقير للكبير واحترام للصغير وبر للوالدين وعدم الكبر وغض الصوت في المحافل والمجالس العلمية وهي جميعًا قواسم مشتركة بين جميع الثقافات.

١٩- اهتم القرآن الكريم بالبناء الروحي القلبي للإنسان الذي يعمق في قلوب أصحابه الرضا بما قضاه الله وقدره، والشكر في السراء والصبر على الضراء.

٢٠- دعا القرآن الكريم المسلمين إلى البناء الفكري والعقلي لا سيما فأول ما نزل من القرآن الكريم " اقرأ" ففي ذلك دعوة إلى الفكر والعلم والعقل.

٢١- البناء الكامل المتكامل للإنسان في القرآن الكريم، فالممعن النظر في القرآن الكريم يدرك أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن ظواهر فلكية وكونية فأجابهم القران الكريم كسؤالهم عن الأهلة، وسألوا عن أمور عسكرية وسياسية كسؤالهم عن القتال في الشهر الحرام، وسألوا عن الصحة كسؤالهم عن الخمر والميسر، وسألوا عن تنمية الاقتصاد وازدهاره كسؤالهم ماذا ينفقون؟، وسألوا عن ظواهر جيولوجية كسؤالهم عن الجبال، وفي كل ذلك يجيبهم رب العزة تبارك وتعالى.

٢٢- اتسم المنهج النبوي بالبناء العقلي والفكري للإنسان من الحث على طلب العلم ومدح الفهم والتفقه، والدعوة إلى إعمال العقل الذي هو أداة الاستنباط، وأن من اجتهد في أمر واخطأ فإنه ينال الأجر والمثوبة لإعمال فكره.

٢٣- من أهم مقومات بناء الإنسان في ظل عالم متعدد الثقافات الأخذ بمبدأ الشورى من أصحاب الخبرات والمفكرين وعقد الاجتماعات لإبداء وجهات النظر لاسيما في العلاقات مع الدول وفي الحروب، مع التأكيد التثبت من الأخبار، وعدم الاقتصار على فهم الظاهر دون الباطن.

٢٤- دعت السنه النبوية إلى البناء الجسدي الصحيح من السعي للكسب وتحمل المسئولية وعدم التسول، والحفاظ على الصحة ، والاقتصاد في المأكل والمشرب والملبس، مع ما يصحب ذلك من دوام النظافة وأخذ قسط من الترفيه المباح، والتشجيع على الجانب الرياضي في حياة وبناء الانسان.

٢٥- اهتم المنهج النبوي بالبناء الروحي الوجداني الذي يشعره بالطمأنينة والصدق مع نفسه والعدل والمساواة والرفق والرحمة وحب الآخرين والإيثار وغير ذلك.

٢٦- ركَّز المنهج النبوي على البناء السياسي للإنسان الذي يشعر الجميع بالأمن والأمان داخل البلد الواحد، فاهتم بحفظ كافة الحقوق، وأن ولاة الأمر هم الأسس التي تقوم عليها الدولة، فاذا صلحوا صلح كل مَن في الدولة، فلابد من العدالة والتراحم ومنع الرشوة والمحسوبية على حساب المنصب.

٢٧- التسامح والتعايش السلمي والعيش المشترك من أهم مقومات المنهج النبوي في بناء الإنسان لعالم متغير مخالف في الفكر والثقافة، واتضح ذلك من خلال وثيقة المدينة، وصلح الحديبية، ومحاولة اغتياله ﷺ عقب انتهاء غزوه بدر، واحترامه لتشريعات الآخرين من قيامه ﷺ لجنازه يهودي مرت عليه، ورد السلام على الذين دعوا عليه بالموت والهلاك وهم نفر من اليهود، وعيادته لغلام يهودي مريض بالمدينة، واستعانته بعبد الله بن أريقط الليثي دليله في طريق الهجرة والذي هو بمثابة تعيين النبي -ﷺ- له وزيرًا للنقل والمواصلات في عصرنا الحاضر رغم أنه كان مشركًا، وإقامة العدل بين الجميع الذي اتضح في معاملته للأسرى ومعاهدته بالمدينة مع جميع أطياف اليهود بها.

٢٨- أخذ الإسلام صفة العالمية من منطلق أنه رباني إلهي واعتماده على عدة أسس من أهمها ما يلي:

أ - أن علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سلم.

ب - أن الحرب في الإسلام دفاعية لا هجومية فهي لرد العدوان فقط .

ج - احترام معتنقات وعقائد الآخرين مع معاملتهم بالحسنى عند فتح أي بلد من البلاد.

٢٩- أكَّد المنهج النبوي على أن البناء الكامل للإنسان في ظل عالم متغير يقوم على التعاون والتكافل بين جميع أفراد المجتمع، والتجرد من حب الذات بالبعد عن الأنانية والأنانملية، والاهتمام بالحوار البناء دون النظر إلى فكر أو عرق أو عقيدة أو ثقافة أو جنس.

ثانيًا: التوصيات:

من أهم التوصيات التي أوصي بها بعد فراغي من البحث ما يلي:

١- محاولة إيواء أصحاب التيارات المتشددة والمنحرفة، والتعامل معهم باللين والحكمة والموعظة الحسنة لإقناعهم بالحجة والبرهان بقبول المخالف في الفكر والثقافة، وقدوتنا في ذلك النبي ﷺ في التعامل مع المشركين بمكة، ومع اليهود والمنافقين بالمدينة المنورة.

٢- دعوة للباحثين والكتاب للاستفادة من منهج الرسول ﷺ في بناء الشخصية المسلمة، وذلك من خلال سيرة وسنة النبي ﷺ.

أهم المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، المؤلف: مواهب إبراهيم عياد وآخرون (١٩٩٣) طبع منشأة المعارف بالإسكندرية.
٣- أسباب نزول القرآن للواحدي، نشر دار الإصلاح،الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م
٤- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية لعبد الحميد الصيد الزنتاني(١٩٩٣)، ط٢ ، ليبيا : الدار العربية للكتاب.
٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، الكتب العلمية عام ١٤١٥ هـ
٦- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء للكلاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
٧- الأموال لابن زنجويه، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.
٨- الأموال للقاسم بن سلام، دار الفكر بيروت.
٩- البداية والنهاية لابن كثير، نشر دار هجر عام ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م
١٠- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل لأبي بكر العامري، دار صادر – بيروت.
١١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، بيروت دار الكتب العلمية.
١٢- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية لعبد الحي الكتاني، دار الأرقم – بيروت.
١٣- التربية على حقوق الإنسان في الوسط المدرسي " حقوق معرفية تفكيرية " المؤلف: عبد المجيد الانتصار (٢٠٠٢) الدار البيضاء ، مكتب حقوق الإنسان .
١٤- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
١٥- تفسير ابن رجب الحنبلي، دار العاصمة - السعودية، ط١ ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.
١٦- تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
١٧- تفسير الثعلبي ، دار التفسير، جدة ، السعودية، ط١ ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م.
١٨- تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠١٤ هـ-٢٠٠١ م.
١٩- تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م.
٢٠- التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي، مكتبة الرشد – الرياض، ط١ الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م
٢١- جامع الترمذي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١ ١٩٩٦ م.
٢٢- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للأثيوبي، دار المعراج الدولية ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م
٢٣- الرحيق المختوم للمباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى.
٢٤- الروح لابن القيم، دار ابن حزم (بيروت) ط٣ ١٤٤٠ هـ- ٢٠١٩ م.
٢٥- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
٢٦- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م

٢٧- سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، ط١ ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
٢٨- سنن أبي داود، نشر المطبعة الأنصارية بدهلي – الهند، عام النشر: ١٣٢٣ هـ
٢٩- سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٣٠- السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م
٣١- السيرة النبوية لابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٦ م.
٣٢- السيرة النبوية لابن هشام، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥ م.
٣٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٣٤- شرح مشكل الآثار للطحاوي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م
٣٥- شرح مصابيح السنة للبغوي، نشر الثقافة الإسلامية، ط١ ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م.
٣٦- شرح المصابيح لابن الملك، نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م
٣٧- شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.
٣٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي، دار الفيحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ
٣٩- صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م
٤٠- صحيح ابن خزيمة ، المكتب الإسلامي، ، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م
٤١- صحيح البخاري، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.
٤٢- صحيح مسلم، دار الطباعة العامرة - تركيا، عام النشر: ١٣٣٤ هـ
٤٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم، مكتبة دار البيان.
٤٤- عون المعبود للعظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ
٤٥- عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري، دار القلم – بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٤٦- فتح الباري لابن حجر، المكتبة السلفية – مصر ط١ ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ
٤٧- فتح المنعم شرح صحيح مسلم أ. د/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م
٤٨- فيض القدير للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط ١.
٤٩- الكفاية في علم الرواية للخطيب، جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٥٧ هـ
٥٠- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ، تأليف: محمد الأمين العَلَوي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م
٥١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.
٥٢- مجمع الزوائد للهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة عام ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٥٣- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، المؤلف: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس – بيروت، الطبعة: السادسة ١٤٠٧هـ.
٥٤- مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م.

٥٥- المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية – بيروت، عام١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٥٦- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٥٧- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، عام١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥٨- مسند البزار، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (٢٠٠٩م)
٥٩- مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه للبوصيري، دار العربية ، ١٤٠٣ هـ
٦٠- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى عام ١٤١١ هـ
٦١- المعجم الأوسط للطبراني، نشر دار الحرمين – القاهرة.
٦٢- المعجم الكبير للطبراني، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط .٢
٦٣- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٦٤- المقاصد الحسنة للسخاوي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
٦٥- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، المؤلف: حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٦٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ
٦٧- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦٨- نيل الأوطار للشوكاني، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المراجع مترجمة باللغة الأجنبية

-١The Holy Qur'an.
-٢Child guidance and guidance in the family and nursery, author: Mawahib Ibrahim Ayyad et al. (١٩٩٣), printed by the Knowledge Institute in Alexandria.
-٣Reasons for the Revelation of the Qur'an by Al-Wahidi, published by Dar Al-Islah - Dammam, ٢nd edition, ١٤١٢AH - ١٩٩٢AD.
-٤Foundations of Islamic Education in the Sunnah of the Prophet by Abd al-Hamid al-Said al-Zintani (١٩٩٣), ٢nd edition, Libya: Arab Book House.
-٥Al-Isaba fi Tamiyaz al-Sahaba by Ibn Hajar al-Asqalani, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, ١٤١٥AH.
-٦Being satisfied with what it contains of the battles of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and the three caliphs of Al-Kala'i, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, ١٤٢٠AH.
-٧Money by Ibn Zangwayh, published by the King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Saudi Arabia
Edition: First, ١٤٠٦AH - ١٩٨٦AD.
-٨Money by Al-Qasim Bin Salam, Dar Al-Fikr, Beirut.
-٩The Beginning and the End by Ibn Kathir, published by Hajar House in ١٤١٨AH - ١٩٩٧AD
-١٠Bahjat al-Mahafil wa Baghiyat al-Athamil fi Summaries of Miracles, Biographies and Excellence by Abu Bakr al-Amiri, Dar Sader - Beirut.
-١١Tuhfat Al-Ahwadi with an explanation of Jami' Al-Tirmidhi by Al-Mubarakfouri, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
-١٢Administrative arrangements, workers, industries, stores, and the scientific situation that existed during the founding of the Islamic city in Medina, by Abd al-Hay al-Kattani, Dar al-Arqam - Beirut.
-١٣Human rights education in the school environment, "Cognitive and Thinking Rights," Author: Abdel Majeed Al-Intisar (٢٠٠٢), Casablanca, Human Rights Office.
-١٤Encouragement and intimidation by Al-Hafiz Al-Mundhiri, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, ١st edition, ١٤١٧ AH.
-١٥Tafsir Ibn Rajab al-Hanbali, Dar Al-Asimah - Kingdom of Saudi Arabia, ١st edition ١٤٢٢ AH - ٢٠٠١ AD.
-١٦Tafsir Ibn Kathir, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition - ١٤١٩ AH
-١٧Tafsir Al-Thaalabi, Dar Al-Tafsir, Jeddah, Saudi Arabia, ١st edition ١٤٣٦ AH - ٢٠١٥ AD.
-١٨Tafsir al-Tabari, edited by Ahmed Shaker, Al-Resala Foundation, ١st edition, ٢٠١٤ AH-٢٠٠١ AD.

-١٩Tafsir al-Qurtubi, Dar al-Kutub al-Misriyah - Cairo, ٢nd edition ١٣٨٤ AH - ١٩٦٤ AD.
٢٠- Al-Tawshih Sharh Al-Jami' Al-Sahih by Al-Suyuti, Al-Rushd Library - Riyadh, First Edition, ١٤١٩ AH - ١٩٩٨ AD
-٢١Al-Tirmidhi Mosque, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, ١st edition, ١٩٩٦ AD.
-٢٢Dhakhira al-Uqabi in Sharh al-Mujtaba by the Ethiopian, Dar al-Miraj International, ١st edition ١٤١٦ AH - ١٩٩٦ AD.
-٢٣Al-Raheeq Al-Makhtum by Al-Mubarakfouri, Dar Al-Hilal - Beirut, first edition.
-٢٤Al-Ruh by Ibn al-Qayyim, Dar Ibn Hazm (Beirut), ٣rd edition, ١٤٤٠ AH - ٢٠١٩ AD.
-٢٥Al-Rawd al-Anf fi Sharh al-Birah al-Nabawiyyah by Ibn Hisham by al-Suhayli, Dar Ihya' al-Arabi al-Turath, Beirut, Edition: First Edition, ١٤٢١ AH/٢٠٠٠ AD.
-٢٦Paths of guidance and guidance in the biography of the best of servants by Al-Salihi Al-Shami, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, ١٤١٤ AH - ١٩٩٣ AD.
-٢٧Sunan Ibn Majah, Dar Al-Risala Al-Alamiyah, ١st edition, ١٤٣٠ AH - ٢٠٠٩ AD.
-٢٨Sunan Abi Dawud, published by Al-Ansariyya Press in Dehli - India, year of publication: ١٣٢٣ AH.
-٢٩Sunan al-Nasa'i, Islamic Publications Office - Aleppo, second edition, ١٤٠٦ AH - ١٩٨٦ AD.
-٣٠Al-Sunan Al-Kubra by Al-Bayhaqi, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, ١٤٢٤ AH - ٢٠٠٣ AD
-٣١The Biography of the Prophet by Ibn Kathir, Dar Al-Ma'rifa for Printing, Publishing and Distribution, Beirut – Lebanon
Year ١٣٩٥ AH - ١٩٧٦ AD.
-٣٢The Biography of the Prophet by Ibn Hisham, published by Mustafa Al-Babi Al-Halabi and His Sons Library and Press Company in Egypt, ٢nd edition, ١٣٧٥ AH - ١٩٥٥ AD.
-٣٣Explanation of Sahih Al-Bukhari by Ibn Battal, Al-Rushd Library - Saudi Arabia, Riyadh, ٢nd edition ١٤٢٣ AH - ٢٠٠٣ AD.
-٣٤Explanation of Mushkil Al-Athar by Al-Tahawi, Al-Resala Foundation, First Edition - ١٤١٥ AH, ١٤٩٤ AD
-٣٥Explanation of Misbah al-Sunnah by Al-Baghawi, published by the Islamic Culture Department, ١st edition ١٤٣٣ AH - ٢٠١٢ AD.
-٣٦Explanation of Al-Masabah by Ibn Al-Malik, published by the Islamic Culture Administration, First Edition, ١٤٣٣ AH - ٢٠١٢ AD.
-٣٧Shu'ab al-Iman by Al-Bayhaqi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, ١st edition, ١٤٢١ AH - ٢٠٠٠ AD.

-٣٨Al-Shifa by Defining the Rights of the Chosen One by Judge Ayyad Al-Yahsbi, Dar Al-Fayhaa - Amman
Edition: Second - ١٤٠٧ AH.
-٣٩Sahih Ibn Hibban, Al-Resala Foundation, Beirut, second edition ١٤١٤ AH - ١٩٩٣ AD
-٤٠Sahih Ibn Khuzaymah verified by Dr. Muhammad Mustafa Al-Azami, Al-Maktab Al-Islami, Third Edition, ١٤٢٤ AH - ٢٠٠٣ AD
-٤١Sahih Al-Bukhari, Dar Touq Al-Najat, first edition, ١٤٢٢ AH, number of parts: ٩.
-٤٢Sahih Muslim, Al-Amira Printing House - Turkey, year of publication: ١٣٣٤ AH, number of parts: ٨.
-٤٣The wise methods in the legal policy of Ibn al-Qayyim, Dar al-Bayan Library.
-٤٤Aoun al-Ma'boud by Azimabadi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, ٢nd edition, ١٤١٥ AH.
٤٥- Uyun al-Athar by Ibn Sayyid al-Nas al-Yamari, Dar al-Qalam - Beirut, first edition, ١٤١٤ AH/١٩٩٣ AD.
-٤٦Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari by Ibn Hajar, Salafi Library - Egypt, ١st edition, ١٣٨٠ - ١٣٩٠ AH.
-٤٧Fath Al-Moneim, Explanation of Sahih Muslim A. Dr. Musa Shaheen Lashin, Dar Al-Shorouk, Cairo, first edition, ١٤٢٣ AH - ٢٠٠٢ AD.
-٤٨Fayd al-Qadir by al-Munawi, Fayd al-Qadir Sharh al-Jami' al-Saghir, Egypt, the Great Commercial Library, ١st edition.
-٤٩Al-Kifaya fi Ilm al-Riwaan by al-Khatib, Uthmani Encyclopedia Society - Hyderabad, Deccan, first edition, ١٣٥٧ AH.
-٥٠The Glowing Planet, Explanation of Sahih Muslim, written by: Muhammad Al-Amin Al-Alawi, Dar Al-Minhaj - Dar Touq Al-Najat, First Edition, ١٤٣٠ AH - ٢٠٠٩ AD
-٥١Al-Kawkab al-Darari fi Sharh Sahih al-Bukhari by al-Kirmani, Dar Ihya' al-Tarath al-Arabi, Beirut-Lebanon, first edition: ١٣٥٦ AH - ١٩٣٧ AD.
-٥٢Al-Zawa'id Complex by Al-Haythami, Al-Qudsi Library, Cairo in ١٤١٤ AH, ١٩٩٤ AD.
-٥٣Collection of Political Documents of the Prophet's Era and the Rightly Guided Caliphate, author: Muhammad Hamidullah Al-Haiderabadi Al-Hindi, Dar Al-Nafais - Beirut, sixth edition, ١٤٠٧ AH.
-٥٤Marqaat Ascension to Sunan Abi Dawud by Al-Suyuti, Dar Ibn Hazm, Beirut - Lebanon, first edition, ١٤٣٣ AH - ٢٠١٢ AD.
٥٥- Al-Mustadrak on the Two Sahihs by Al-Hakim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, ١٤١١ AH - ١٩٩٠ AD.

-٥٦Musnad Abu Ya'la al-Mawsili, edited by Hussein Salim Asad, Dar al-Ma'mun for Heritage - Damascus, first edition, ١٤٠٤ AH - ١٩٨٤ AD.
-٥٧Musnad of Imam Ahmad, Al-Resala Foundation, Beirut, first edition, ١٤٢١ AH - ٢٠٠١ AD.
-٥٨Musnad Al-Bazzar, Library of Science and Wisdom - Medina, First Edition, (٢٠٠٩ AD(
-٥٩Misbah al-Zaghaja ala Zawa'id Ibn Majah by al-Busiri, Dar al-Arabiya - Beirut, second edition, ١٤٠٣ AH.
-٦٠The Favorite Landmarks in the Sunnah and Biography by Muhammad Sharab, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus - Beirut, first edition, ١٤١١ AH.
-٦١Al-Mu'jam Al-Awsat by Al-Tabarani, published by Dar Al-Haramain - Cairo.
-٦٢Al-Mu'jam Al-Kabir by Al-Tabarani, edited by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, Cairo, Ibn Taymiyyah Library, ٢nd edition.
-٦٣Al-Mufhim lama ambiguum from the summary of Muslim's book by Al-Qurtubi, (Dar Al-Kalam Al-Tayyib, Damascus - Beirut), first edition, ١٤١٧ AH - ١٩٩٦ AD.
-٦٤Al-Maqasid Al-Hasana by Al-Sakhawi, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, ١st edition, ١٤٠٥ AH - ١٩٨٥ AD.
-٦٥Manar Al-Qari, a brief explanation of Sahih Al-Bukhari, author: Hamza Muhammad Qasim, Dar Al-Bayan Library, Damascus - Syrian Arab Republic, year of publication: ١٤١٠ AH - ١٩٩٠ AD
-٦٦Al-Minhaj, Explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj by Al-Nawawi, Dar Revival of Arab Heritage - Beirut, Second Edition, ١٣٩٢ AH.
-٦٧Al-Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar by Ibn al-Atheer, Scientific Library - Beirut, ١٣٩٩ AH - ١٩٧٩ AD.
٦٨- Nail Al-Awtar by Al-Shawkani, Dar Al-Hadith, Egypt, first edition, ١٤١٣ AH - ١٩٩٣ AD.